الموضوعية الفكرية
في ضوء الإسلام
أبعادها ودلالاتها

إعداد

د/ سعيد محمد قرني علي

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد

كلية الدعوة الإسلامية - جامعة الأزهر بالقاهرة

الموضوعية الفكرية في ضوء الإسلام أبعادها ودلالاتها

سعيد محمد قرني علي

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية – كلية الدعوة الإسلامية – جامعة الأزهر بالقاهرة

البريد الإلكتروني:**alfaum1973@yahoo.com**

الملخص:

إن الأمة الإسلامية الآن تعاني من تخلف حضاري شمل معظم نواحي الحياة، وعندما ندرس أسباب هذا التخلف نجد أنه نابع في الأساس من داخلنا وأنفسنا وابتعادنا عن منهج الله سبحانه

ولا نبالغ إذا قلنا إن غياب الموضوعية في حياتنا وفي تفكيرنا وفي التعامل مع المواقف والأشخاص والأفكار، كان من أبرز العوامل التي أدت بالمسلمين إلى التنازع والتفكك والتخلف في واقعنا المعاصر، مما أدى إلى ظهور الكثير من السلبيات والظواهر اللاموضوعية، كبروز التمحور حول الأشخاص لا الأفكار، والتطرف في حالتي الحب والكراهية، وادعاء احتكار الحقيقة المطلقة مع غياب آداب الحوار، وحضور لغة الاتهام والتآمر للآخر، إلى غير ذلك من الآفات والسلبيات، فجاءت هذه الدراسة لتأكد أن الإسلام الحنيف يمتلك تأصيلاً فريداً للموضوعية بصورة عامة فكراً وخلقاً.

وقد اتبعت في هذا البحث: المنهج الاستقرائي، والاستنباطي

وقد توصلت في بحثي إلى عدة نتائج ومن أهمها:أن النقطة الأساسية في الموضوعية الفكرية هي اعتماد منهجية سليمة في التفكير، من خلال

إفساح المجال للعقل لكي يمعن النظر في الأمــور بتجــرد بعيــداً عــن المؤثرات الخارجية أو العوامل العاطفية الذاتية.

وأقترح: إعداد دراسة علمية موسعة تبرز أهمية فكرة الحوار مع الآخــر، لأن من بدهيات الأشياء أن الفكرة لا تقاومها إلا فكرة، كما أن الشبهة لا تجابه إلا بالحجة.

الكلمات المفتاحية :الموضوعية ، الفكر، مصطلح الموضوعية الفكرية ، الإسلام ، الأبعاد ، الدلالات.

Dimensions and Indications of Intellectual Objectivity from Islamic Perspective

Said Mohammad Qurani Ali

Assistant Predecessor of Dawah and Islamic Culture, Faculty of Islamic Dawah, Al Azhar University, Email: alfaum1973@yahoo.com

Abstract:

Currently, Muslim nations suffer from underdevelopment in almost all aspects of life due to internal not only externals reasons as we distanced ourselves from the way of Almighty God. We do not exaggerate saying that the absence of objectivity in our thinking and our life, especially when dealing with others in different situations, was one of the main causes that led to fights and disputes among Muslims. Consequently, many negative impractical less objective phenomena appeared such as focusing on persons not their ideas, extremist hatred or love, claiming knowing the truth and absence of etiquette of dialogue and presence of language of accusation and conspiracy, etc. Therefore, the current study aims to assure that true Islam originally encompasses intellectual and ethical objectivity. The researcher adopted inductive and deductive approaches to analyze the topic of the study. He came up with a number of research findings; intellectual objectivity is based on accurate thinking approach through depending on mentality regardless external or emotional effects. The researcher also recommends a future longitudinal study to show importance of dialogue with the other in Islam to face different ideas and suspicion by the argument .

Key words: Intellectual objectivity, Islam, dimensions, indications.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وبعد:

لا شك أن الأمة الإسلامية في واقعها المعاصر تواجه بهجوم عنيف من قبل أعدائها، فتارة بقذائف نارية محرقة تحصد النفوس والأرواح، وتارة أخرى بقذائف من نوع آخر تستهدف القيم والعقيدة والأخلاق، ولا عجب من هذا كله، فأعداء الإسلام دأبوا في الماضي والحاضر على حد سواء إلى نقل المجتمعات المسلمة من حياة تنظمها أعراف الدين وقوانين الشريعة إلى حياة أخرى تبعد سلطان الشرع من الحياة ، حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم أنه الحق، ولكن الأعجب حقاً أن يعرف المسلمون ما يدار حولهم من مخططات ومآمرات، ثم لا يعمدون إلى تقوية أنفسهم، وشحذ عزائمهم، ونبذ خريطة التخلف ليستطيعوا مواجهة أعدائهم فضلا عن الانتصار عليهم.

إن الأمة الإسلامية الآن تعاني من تخلف حضاري شمل معظم نواحي الحياة، وعندما ندرس أسباب هذا التخلف نجد أنه نابع في الأساس من داخلنا وأنفسنا وابتعادنا عن منهج الله سبحانه

ولا نبالغ إذا قلنا إن غياب الموضوعية في حياتنا وفي تفكيرنا وفي التعامل مع المواقف والأشخاص والأفكار، كان من أبرز العوامل التي أدت بالمسلمين إلى التنازع والتفكك والتخلف في واقعنا المعاصر، مما أدى إلى ظهور الكثير من السلبيات والظواهر اللاموضوعية، كبروز التمحور حول الأشخاص لا الأفكار، والتطرف في حالتي الحب والكراهية، وادعاء احتكار الحقيقة المطلقة مع غياب آداب الحوار،

وحضور لغة الاتهام والتآمر للآخر، إلى غير ذلك من الآفات والسلبيات.

إن الإسلام الحنيف يمتلك تأصيلاً فريداً للموضوعية بصورة عامة فكراً وخلقاً، ولذلك عرفت الأجيال الأولى في صدر الإسلام بهذه الموضوعية، من خلال انحيازها الدائم للقيم والمبادئ التي تعلي من شأن الفكر الموضوعي، وذلك من منطلق التواضع وامتلاك شجاعة الاعتراف بعدم العلم في قضية ما، والانطلاق مع الآخر من مبدأ التعامل مع فكره لا لشخصه، ومجادلته بالتي هي أحسن، وتغليب مبدأ العدل أمام عواطف الحب والكره، لذا سادوا الدنيا وملكوا زمام المبادرة والقيادة للأمم.

وعندما خف تأثير الإسلام في نفوس منتسبيه في الواقع المعاصر بفعل الأهواء والشهوات اندثرت القيم الفكرية في حياتهم، فبرزت العواطف على حساب العقول والأفكار، وطغت الشخصانية على حساب الموضوعية، والديكتاتورية بدلاً من الديمقراطية، وزاد الانغلاق واتهام الآخر على حساب الانفتاح والاعتراف بإيجابيات الآخرين.

ولما كانت أمة الإسلام بحاجة إلى جهود أبنائها، لنبذ عوامل التخلف وتجفيف منابعه، والسير بها إلى معاودة الريادة الحضارية، وبما أن المعترك الفكري هو الأساس والمبتدأ في هذا الجانب، فقد حاولت المساهمة بجهد المقل من خلال هذا البحث الذي جاء تحت عنوان: (الموضوعية الفكرية في ضوء الإسلام – أبعادها ودلالاتها)، محاولاً قدر المستطاع إلقاء الضوء على حقيقة الموضوعية الفكرية في الإسلام، مبرزاً مفهومها ومظاهرها وأبرز ضوابطها ومعوقاتها وأهم آثارها.

وفيما يلي إشارة سريعة إلى أهمية الموضوع، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

إن أهمية هذا الموضوع تتضح في عدة نقاط لعل من أهمها ما يلي:-

١-تمثل الموضوعية الفكرية الأساس السليم في محاولة الوصول للحق، دون ميل أو انحياز ليرى الإنسان الحق حقاً فيتبعه، والباطل باطلاً فيجتنبه.

٢-إن التزام المنهجية السليمة في التفكير قيمة عليا وهدف مقصود تهدف إليه الموضوعية الفكرية، بغض النظر عما يتوصل إليه من نتائج في الرأي، ولذا اتفق علماء الإسلام على أن المجتهد إذا اجتهد فأصاب فله أجران، وإذا أخطأ فله أجر واحد، وإنما استحق المخطئ هذا الأجر مع خطئه لما بذله من جهد واسع ضمن منهجية صحيحة للاستنباط، بعكس من سلك منهجية غير سليمة، كالاعتماد مثلاً على السحر والشعوذة وغيرها، فإنه محاسب على انتهاج هذا المسلك الخاطئ، حتى وإن وصل من خلال ذلك إلى منفعته وغايته.

٣-إن الموضوعية الفكرية في الإسلام تحقق للأمة المسلمة أهم خصائصها، بتحقيق التلاحم والوحدة والحب والوئام بين أفرادها، والعدل والقسط مع غير المسلمين الذين يعيشون في ظلهم أو مع من يتعاملون معهم، حتى وإن اختلفت وجهات النظر في الآراء والأفكار، فإن اختلاف الرأي لا يفسد الود والاحترام بين أبناء المجتمع الواحد.

٤-إن تجديد أمر الدين الإسلامي في الواقع المعاصر مرهون باكتشاف مواطن الخلل، وبيان أسبابه، وكيفية علاجه، والعودة إلى ينابيع الإسلام الأولى، وهذا لا يتأتى دون نقد للواقع ومراجعة لمساراته،

وهذا ما تحققه الموضوعية الفكرية.

٥-إن الموضوعية الفكرية لها تأصيل واضح في الإسلام، وهي على رأس الأمور التي يتم من خلالها مواجهة الغزو الفكري الموجه ضد أبناء الأمة الإسلامية من قبل المجتمعات الغربية، وما تحمله من بريق زائف وحضارة واهية، تستهدف عقيدة الأمة الإسلامية وأخلاقياتها.

ثانياً: منهج البحث:

لما كان موضوع البحث يتناول قضية الموضوعية الفكرية، فقد ألزمني ذلك أن يتضمن منهجي في البحث: المنهج الاستقرائي[1] ، والاستنباطي[2] ، وذلك من خلال استقراء النصوص الشرعية، واستنباط التأصيل الإسلامي لتلك الموضوعية الفكرية.

وأما عن الطريقة المتبعة في البحث فقد راعيت فيها الأمور التالية:

١-عزو الآيات القرآنية إلى سورها، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية منها.

٢-تم تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية، وإذا كان

١ وهذا المنهج يعتمد على استقراء النصوص قراءة دقيقة، وجمع ما تيسر من النصوص التي تخدم الموضوع بعد توثيقها للوصول إلى نتيجة صحيحة (مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام د/حلمي عبدالمنعم صابر ص٢٣ بتصرف يسير، الناشر مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع ط ثانية ١٤٢٥هـ- ٢٠١٤م)

٢وهو المنهج الذي يتيح التوصل إلى القوانين التي تتوقف على طبيعة الظواهر، حيث ينتقل الباحث من المقدمات إلى النتائج (مناهج البحث العلمي د/عبداللطيف محمد العبد ص٥٧ ، الناشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ط١٣٩٨هـ-١٩٧٩م).

الحديث في صحيح البخاري أو مسلم، اكتفيت بذلك عن غيرهما.

٣-عند تدوين المراجع في هامش كل صفحة من صفحات هذا البحث، فإنني أقوم بتفصيل المرجع كاملاً في أول مرة، وإذا تكرر اسم المرجع بعد ذلك فإنني أقوم بذكر اسم المرجع ومؤلفه والجزء والصفحة فقط، مع الإشارة إلى كونه مرجعاً سابقاً.

ثالثاً: الدراسات السابقة:

كثرت الدراسات العلمية حول موضوع الفكر بشكل عام، سواء أكان من الناحية الاجتماعية أو الفلسفية أو غيرهما، وذلك على حسب تخصص كل باحث في مجاله.

ورغم تناول بعض الدراسات لبعض جوانب الموضوعية، إلا أن كل دراسة منها تركز على جزئية معينة بدون الخوض في معظم أبعادها ودلالاتها، ولعل إضافة الباحث تكمن في تأصيل تلك الموضوعية الفكرية في الإسلام، ثم توضيح أهم ضوابطها ، وأبرز معوقاتها وآثارها، وذلك في محاولة جادة لجمع الشتات حول معظم جوانب هذه القضية التي لها أهميتها على الساحة الفكرية المعاصرة.

وقد اجتهدت على قدر استطاعتي أثناء التخطيط لهذا البحث، في جمع معظم ما له صله بهذا الموضوع، فلم يتيسر لي الحصول على كتاب يجمع كل أبعاد الموضوع ويعالج أهم مشكلاته ، ولكن وجدت بعض الدراسات التي لها صلة وترتبط ببعض عناصر البحث ، ومما وجدته من دراسات حول الموضوع على سبيل المثال وليس الحصر ما يلي:

١-دراسة الدكتور/صلاح قنصوة بعنوان: (الموضوعية في العلوم

الإنسانية، عرض نقدي لمناهج البحث) الناشر دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٧م.

٢-دراسة الدكتورة/صفاء يوسف الأعسر بعنوان: (تعليم من أجل التفكير) الناشر دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة ١٩٩٨م.

٣-دراسة الدكتور/قاسم السامرائي بعنوان: (الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية) منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ط أولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٤-دراسة الدكتور/فؤاد البنا بعنوان: (التفكير الموضوعي في الإسلام) من سلسلة كتاب الأمة عدد ١٣٧ جمادى الأولى ١٤٣١هـ السنة الثلاثون ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.

٥-دراسة فضيلة الأستاذ الدكتور/عبدالحليم محمود -رحمه الله- بعنوان: (التفكير الفلسفي في الإسلام) ط دار الكتاب اللبناني ١٩٨٩م.

٦-دراسة الدكتور/يوسف محمود محمد ، بعنوان: (أسس اليقين بين الفكر الديني والفلسفي) ط دار الحكمة- الدوحة ط أولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٧-دراسة فضيلة الدكتور/محمد البهي-رحمه الله- بعنوان: (العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق) من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية مطبعة الأزهر ١٩٧٦م.

رابعاً: خطة البحث:

ويشتمل البحث على: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.

فأما المقدمة: فقدمت فيها لموضوع البحث، ذاكراً أهميته وخطته، ومنهج البحث، والدراسات السابقة.

وأما التمهيد: فقد اشتمل على تحليل مفردات عنوان البحث.

المبحث الأول: العقل ومكانته في الإسلام.

المبحث الثاني: التأصيل الإسلامي للموضوعية الفكرية، وأهم مظاهرها.

المبحث الثالث: ضوابط الموضوعية الفكرية، وأبرز معوقاتها.

المبحث الرابع: آثار الموضوعية الفكرية على الفرد والمجتمع.

الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث وأبرز توصياته.

التمهيد

تحليل ألفاظ عنوان البحث

من مقتضيات البحث العلمي تحديد مفاهيم مصطلحات عنوانه قبل الدخول في الجوهر والمضمون، ومن أهم الألفاظ التي سنتناولها بشيئ من التفصيل ما يلي:

١-الموضوعية ٢- الفكر ٣- مصطلح الموضوعية الفكرية

٤- الإسلام ٥- الأبعاد ٦- الدلالات

أولاً: مفهوم الموضوعية:

الموضوع : (هو الأمر الموجود في الذهن)[١] ، ويطلق أيضاً الموضوع على (الحقيقة بلا واسطة)[٢] ، (والحديث الموضوع: كل خبر نقل عن رسول الله كذباً)[٣]

وكلمة الموضوعية في الفلسفة هي: (منحى فلسفي يرى أن المعرفة

١التعريفات للإمام/ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ص٢٣٦ ، تحقيق/جماعة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية، الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٢التوثيق على مهمات التعاريف/ زين الدين محمد المدعو بعبد الرءوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري ج١ ص١٤٧ الناشر عالم الكتب بالقاهرة ط أولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٣الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية/ أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي أبو البقاء الحنفي ج١ ص٣٧١ ، تحقيق/ عدنان درويش، محمد المصري، الناشر مؤسسة الرسالة بيروت.

إنما ترجع إلى حقيقة غير الذات المدركة)[1]

والمقالة الموضوعية:(هي منهج البحث العلمي وما يقتضيه من جمع المادة العلمية وترتيبها وتنسيقها وعرضها بأسلوب واضح جلي لا يورط القارئ في اللبس ولا يقوده إلى مجاهل التعمية والإيهام)[2]

وعلى ذلك فكلمة الموضوعية بشكل عام تعني: وضع الأمور في نصابها على أساس علمي أو معرفي اعتماداً على العقل والبحث، في مقابل الذاتية التي تعتمد على الأهواء ورغبات النفس.

ثانيا: معنى الفكر:

الفكر في اللغة:

جاء في لسان العرب: (الفكر: إعمال الخاطر في الشيئ، ويقال: رجل فكير أي كثير الفكر)[3] (والتفكير: إعمال الشيئ في مشكلة للتوصل إلى حلها، والفكر: إعمال العقل للوصول إلى معرفة مجهول)[4]

١المعجم الوسيط باب الواو ج٢ ص١٠٤٠ مجمع اللغة العربية بالقاهرة إبراهيم مصطفى وآخرون، الناشر دار الدعوة.، (وملخص هذه الفلسفة أن المبادئ الأساسية للموضوعية الفلسفية تقوم على فكرة أن الحقيقة توجد منفصلة عن الوعي – راجع :مدخل إلى الفلسفة تأليف/جون لويس ترجمة/أنور عبد الملك ص١٢٧ ط دار الحقيقة للطباعة والنشر بيروت ط ثانية ١٩٧٣م ").

٢فن المقالة د/محمد يوسف نجم ص١٠٣ الناشر دار صادر بيروت، دار الشروق عمان ط أولى ١٩٩٦م.

٣لسان العرب للإمام/جمال الدين بن منظور الأنصاري مادة فكر ج٥ ص٦٥ الناشر دار صادر بيروت ط ثالثة ١٤١٤هـ.

٤المعجم الوسيط/مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، باب الفاء ج٢ ص٦٩٨ مرجع سابق.

فالفكر إذن مرادف للنظر، ويعني التأمل في الأمور للتوصل إلى حل المشكلات أو معرفة المجهولات.

الفكر في الاصطلاح:

تعددت تعريفات العلماء قديماً وحديثاً حول كلمة "الفكر"، ومن هذه التعريفات ما يلي:

١-وقيل: (الفكر هو: ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى معرفة مجهول)[1]

٢-وقيل: (الفكر كالعلم لقربه منه في معناه ومشاركته له في محله)[2]

والملاحظ في تعريفات الفكر في اصطلاح العلماء أنه يتقارب كثيراً مع المعنى اللغوي للكلمة الملازمة للنظر والعلم لتقاربهما في المعنى والدلالة.

ثالثاً: مصطلح الموضوعية الفكرية:

إن مصطلح "الموضوعية الفكرية" يعتبر من المصطلحات الحديثة التي طرأت على الساحة الفكرية المعاصرة، حيث لم يذكر لها تعريف واضح في عرف العلماء القدامى وإن كان العمل بها جارياً في عرف العلماء على مر العصور، لأنها تعتبر من أبرز مقومات شخصية العلماء الباحثين عن الحقيقة دوماً بعيداً عن المؤثرات والأهواء، ولذا فقد نشأ هذا المصطلح

١التعريفات للإمام/الجرجاني باب الفاء ص١٦٨ مرجع سابق.

٢بدائع الفوائد للإمام/شمس الدين ابن قيم الجوزية ج٢ ص٩١ الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

أصلاً في الأجواء العلمية الحديثة التي سلكت طريق المنهجية التجريبيـــة بشكل منفصل ودقيق بعيداً عن الاعتباطية أو الموروث التقليدي.

ويمكن أن نورد بعض التعريفات لمصطلح "الموضوعية الفكرية" فيما يلي:

١-الموضوعية الفكرية معناها: (عدم تأثر الباحث في نظرته للأمور أو الحكم على الأشياء بأي مؤثرات أو دوافع نفسية أو اجتماعية أو غيرها، تعيقه عن الوصول إلى الحقيقة والصواب في أي مسألة أو قضية)[١]

٢-وقيل معناها : (الالتزام بالقيم الثابتة، والبعـــد عـــن الهـــوى أو الخضوع للمؤثرات الشخصية بكل أنواعها)[٢]

٣-وقيل معناها : (التحرر من التحيز، لأن هذه الموضوعية عنـــد معظم الباحثين ليست شرطاً ومطلباً بقدر ما هي هدف محقق بالفعل فـــي نظرهم)[٣]

ومن هنا، فالموضوعية الفكرية يقصد بها : التفكير العقلي في الحكم على الأشياء بدون تحيز أو محاباه أو تدخل لهوى النفس، للوصول إلـــى الحقائق والتمييز بين الحق والباطل كما تعنـــي البعـــد عـــن العواطـــف

١الموضوعية في العلوم الإنسانية د/ صلاح قنصوه ص٦٦ ، ٦٧ بتصـــرف يســـير ، الناشر دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٧م.

٢التفكير الموضوعي في الإسلام د/فؤاد البنا ص٣٠ من سلسلة كتاب الأمة عدد ١٣٧ جمادى الأولى ١٤٣١هـــ السنة الثلاثون ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.

٣الموضوعية في العلوم الإنسانية د/صلاح قنصوة ص٢٦٥ مرجع سابق.

والانفعالات تجاه أي مسألة من المسائل التي يحتاج فيها إلى أخذ قرار أو اصدار حكم ، أو بمعنى آخر: تجرد الباحث من كل اعتبار عـــاطفي أو انفعالي في الحكم على الأشياء، من خـــلال مجموعـــة مـــن الخطـــوات والأدوات التي تمكننا من الوقوف على الحقيقة والتعامل معها على ما هي عليه، بعيداً عن الذاتية والمؤثرات الخارجية.

رابعاً: معنى كلمة"الإسلام":

كلمة "الإسلام" فى اللغة تعنى: الاستسلام لأمر الله –تعـــالى–(يقـــال: فلان مسلم، وفيه قولان: أحدهما: هـــو المستســـلم لأمـــر الله–تعـــالى–، والثانى: هو المخلص لله فى العبادة، من قولهم ســـلم الشـــيئ لفـــلان أى خلصه، وسلم له الشيئ أى: خلص له)([1])، (واستسلم :أى انقاد)([2])

(والإسلام: الانقياد ، لأنه يسلم من الإباء والامتناع)([3])

والإسلام فى معناه الشرعى الاصطلاحى مأخوذ من معناه اللغـــوى، ولذا يقول الدكتور/عبد الحليم محمود–رحمه الله– :

---

١ تهذيب اللغة/محمد بن أحمد الأزهرى الهروى أبو منصور، باب السين واللام ج١٢ ص٣١٢ ، تحقيق/محمد عوض مرعب، الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت ط أولى ٢٠٠١م. ٠

٢ مختار الصحاح/زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن عبد القـــادر الحنفـــى الرازى، تحقيق/يوسف الشيخ محمد ، بـــاب ســـلم ج١ ص١٥٣ ، الناشـــر المكتبـــة العصرية، والدار النموذجية بيروت صيدا ط خامسة ١٤٢٠هـــ– ١٩٩٩م

٣ معجم مقاييس اللغة/أحمد بن فارس بن زكريا القزوينـــى الـــرازى أبـــو الحســـين، تحقيق/عبد السلام محمد هارون، باب سلم ج٣ ص٩٠ الناشـــر دار الفكـــر ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م٠

(فالإسلام إنما هو إسلام الوجه لله –تعالى–، إنه الاستجابة التامة لأمره–سبحانه–، إنه تلمس رضاه فيما يأتى الإنسان وما يدع، إنه العزم المصمم على اتخاذ الوحى أساسا، وعلى الصدور عنه فى كل عمل وفى كل نية)([1]) .

والإسلام بهذا المعنى موافق تماما لمعنى الإيمان، حيث يقول الإمام ابن القيم–رحمه الله–فى تعريف الإيمان:–

(والإيمان حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول–صلى الله عليه وسلم–علما والتصديق به عقدا، والإقرار به نطقا والانقياد له محبة وخضوعا، والعمل به باطنا وظاهرا)([2])

والحق أن لفظ الإسلام له معنيان:

المعنى الأول : أن يطلق لفظ "الإسلام" على الإفراد غير مقترن بذكر الإيمان، وحينئذ يكون المراد من الإسلام هو الدين كله ظاهراً وباطنا– وفى ذلك يقول الله–سبحانه–)ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه)([3])، ويقول– سبحانه–:(إن الدين عند الله الإسلام) ([4])

والمعنى الثانى : أن يطلق لفظ "الإسلام "مقترناً مع الإيمان، وعلى ذلك يكون المراد بالإيمان فى هذه الحالة الاعتقاد الباطنى، ويكون المراد

---

١ التوحيد الخالص أو الإسلام والعقل د/عبد الحليم محمود ص٥٧، الناشر دار الكتب الحديثة مطبعة حسان ١٩٧٣م٠

٢ الفوائد، للإمام/شمس الدين بن القيم، تحقيق/أحمد محمود عطا ص١٢٣ مكتبة الإيمان بالمنصورة، ط أولى١٤١٥هـ–١٩٩٤م ٠

٣ سورة آل عمران آية:٨٥ ٠

٤ سورة آل عمران آية:١٩ ٠

من لفظ "الإسلام" المعنى الظاهرى، ولذلك يقول سبحانه:(قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلــوبكم) ([1])، وقوله –صلى الله عليه وسلم- فى حديث سؤال جبريل –عليه السلام-: (ما الإسلام؟ قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمـــدا رســـول الله وتقـــيم الصلاة وتؤدى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إلى ذلك سبيلا، ٠٠٠٠قال:ما الإيمان؟ قال:أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورســـله واليوم الآخر ، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره)([2])

ومن هنا فالإيمان:هو التصديق القلبـــى، والإســـلام هـــو: الامتثـــال والانقياد، فهما متغايران فى المعنى ، وعلى هذا: (فالحاصـــل أن حالـــة اقتران الإسلام بالإيمان غير حالة إفراد أحدهما عن الآخر، فمثل الإسلام من الإيمان كمثل الشهادتين إحداهما من الأخرى، فشهادة الرســـالة غيـــر شهادة الوحدانية، فهما شيئان فى الأعيان، وإحداهما مرتبطة بالأخرى فى المعنى والحكم كشيئ واحد)([3])٠

وينبغى أن يعلم أيضاً أن لفظ "الإسلام" فى القرآن ، يطلق كذلك على الدين المشترك الذى هتف به جميع الأنبياء وأتباعهم ، فيشمل دعوة جميع الأنبياء والمرسلين –عليهم السلام- ، ومن الأمثلة على ذلـــك فـــى

---

١ سورة الحجرات آية:١٤ ٠

٢ أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن عمر بن الخطاب، كتاب الإيمان، بـــاب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الســـاعة ج١ ص٣٦ ، تحقيق/محمـــد فـــؤاد عبدالباقي الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت ٠

٣ شرح العقيدة الطحاوية ص٣٣٨ ، تخريج الأحاديث/محمد ناصر الدين الألبانى، ط المكتب الإسلامى ط ثامنة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م ٠

القرآن الكريم ، إقرار سيدنا إبراهيم-عليه السلام-بهذا الإسلام استجابة لأمر ربه له، ووصيته به لأبنائه من بعده، قال - تعالى- :(إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ([1])، وفى شأن سيدنا موسى-عليه السلام- يقول الله-تعالى- :(وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) ([2]) وفى حق سيدنا محمد-صلى الله عليه وسلم-يقول الله- تعالى-(ورضيت لكم الإسلام ديناً) ([3])، ولذا يقول النبى-صلى الله عليه وسلم-: (والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد)([4])

خامساً: معنى كلمة "الأبعاد":

إن كلمة "البعد" في اللغة العربية تطلق على الشيئ المادي غالباً ، وجمعها "أبعاد" ، يقال (أبعاد الشيئ أي: الطول والعرض والعمق)[5]

(والبعد خلاف القرب)[6] ، وقيل : (البعد هو أقصر الخطوط الواصلة

---

١ سورة البقرة الآيتان:١٣١-١٣٢ .

٢ سورة يونس آية:٨٤ .

٣ سورة المائدة آية:٣ .

٤ أخرجه البخارى فى صحيحه بهذا اللفظ بسنده عن أبى هريرة، كتاب أحاديث الأنبياء باب، قوله تعالى"واذ فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها" ج٤ ص١٦٧ ، تحقيق/محمد زعير بن ناصر الناصر، الناشر دار طوق النجاة ط أولى ١٤٢٢هـ.

٥مفاتيح العلوم/محمد بن أحمد بن يوسف أبو عبدالله الكاتب البلخي الخوارزمي، تحقيق/إبراهيم الإبياري ج١ ص٢٣٦ الناشر دار الكتاب العربي ط ثانية بدون تاريخ.

٦معجم مقاييس اللغة/أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين، ==

بين الشيئين)[1]

كما تطلق كلمة :الأبعاد" أيضاً على الأشياء المعنوية وخاصة المتعلقة باتساع الأفكار وعمق النظر ، (فكلمة البعد تضرب مثلا للرجل الذي يعمل العمل الشديد)[2]

(وكذا معناها اتساع المدى ، فيقال: إنه لذو بعد رأي عميق)[3]

وجاء في المفردات:

(الأبعاد: إدراك الأشياء بعمق النظر والحس)[4]

ومن هنا نعلم : أن كلمة الأبعاد تدور حول معاني سعة الإدراك وعمق النظر وقوة الفهم التي تدل على أن صاحبها يدرك الكثير من الأشياء التي ربما تغيب عن نظر الآخرين.

==

تحقيق/عبدالسلام محمد هارون باب "بعد" ج١ ص٢٨٦ الناشر دار الفكر عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية/ أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي أبو البقاء الحنفي، تحقيق/عدنان درويش، محمد المصري ، فصل "الباء" ج١ ص٢٤٩ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت.

٢تاج العروس من جواهر القاموس/محمد بن محمد بن عبدالرازق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي، تحقيق/مجموعة من المحققين باب "بعد" ج٧ ص٤٣٥ الناشر دار الهداية .

٣المعجم الوسيط باب "الباء" ج١ ص٦٢ مرجع سابق.

٤التعريفات/للإمام الجرجاني ج١ ص١٢٥ مرجع سابق.

سادساً: معنى كلمة "الدلالات":

إن كلمة "الدلالات" جمع لكلمة "دلالة" ، ومعناها الإبانة والوضوح فهي مصدر للفعل الثلاثي "دل" ومعناها : (إبانة الشيئ بأمارة تتعلمها، والدليل: الأمارة في الشيئ، يقال بين الدلالة والدلالة)[1]

(وقد دله على الطريق يدله دلالة ودلالة، وأنشد بعضهم إني امرؤ بالطرق ذو دلالات، قال سيبويه: والدليلي علمه بالدلالة ورسوخه فيها)[2]

وجاء في التعريفات:(الدلالة: هي كون الشيئ بحالة يلزم من العلم به العلم بشيئ آخر، والشيئ الأول هو الدال، والثاني هو المدلول)[3]

(والدلالة: كون اللفظ متى أطلق أو أحس، فهم منه معناه للعلم بوضعه)[4]

وخلاصة القول في ذلك : أن كلمة "الدلالات" تدل على وضوح الشيئ وإبانته بحيث يعلم من خلال ذلك الكثير من النتائج والعبر والدروس المستفادة التي ربما يغفل عنها الآخرون.

وبعد هذه الإشارة السريعة حول التعريف بمصطلحات عنوان البحث، أستطيع بعد ذلك أن أدخل فى تفاصيل موضوع البحث مستعينا بعون الله وتوفيقه ، فأقول وبالله التوفيق.

١معجم مقاييس اللغة باب "دل" ج٢ ص٢٥٩ مرجع سابق .

٢لسان العرب/ بن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي، فصل "الدال المهملـــة" ج١١ ص٢٤٩ مرجع سابق.

٣التعريفات للإمام الجرجاني باب "الدال" ج١ ص١٠٤ مرجع سابق.

٤تاج العروس من جواهر القاموس لمرتضى الزبيدي باب "دل" ج٢٨ ص ٤٩٨ مرجع سابق .

المبحث الأول

العقل ومكانته في الإسلام

لقد منح الله–عز وجل– الإنسان نعمة العقل التى بها يفرق بين الحق والباطل، والصواب والخطأ، والنافع والضار، فبالعقل يشرف الإنسان، وهو مناط التكليف وحمل الأمانة، قال تعالى:(إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان) ([1]) ولذا أولى الإسلام العقل أهمية كبرى، وفى سبيل توضيح مكانة العقل فى الإسلام، فقد ضمنت هذا المبحث النقاط التالية:

أولا: العقل ومشتقاته فى القرآن الكريم .

ثانيا: العقل ومشتقاته فى السنة النبوية .

ثالثا: العقل في ميزان الإسلام .

رابعا: حفاظ الإسلام على العقل والاستفادة منه .

أولا: العقل ومشتقاته فى القرآن الكريم:

لقد جاءت مادة "عقل"بمشتقاتها فى القرآن الكريم فى تسع وأربعين مرة([2])، وكلها بصيغ المضارع "تعقلون" ، "نعقل" ، "يعقلها" ، "يعقلون" ، إلا فى مرة واحدة جاءت بصيغة الماضى، فى قوله–تعالى–:(أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما

---

١ سورة الأحزاب آية:٧٢ .

٢ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/محمد فؤاد عبد الباقى ص٥٩٥، ٥٩٤ ط دار الحديث ط ثالثة ١٤١١هـ–١٩٩١م .

عقلوه وهم يعلمون)ّ ([1]) .

ومن الآيات التى ذكر فيها لفظ"العقل" بمشتقاته بصيغ المضارع، على سبيل المثال لا الحصر ما يلى:

- قوله تعالى:(أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) ([2]) .

- وقوله تعالى:(وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)ّ ([3]) .

- وقوله تعالى:(وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون([4])).

-وقوله تعالى:(إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون([5])).

والذى يتأمل فى تلك الآيات وغيرها الكثير، يلاحظ اتجاه المعنى دائما إلى الحث على استخدام نعمة العقل للتأمل فى ملكوت الله-سبحانه-، واستخدامه فيما ينفع الإنسان فى أولاه وأخراه ٠

١ سورة البقرة آية:٧٥ ٠
٢ سورة البقرة آية:٤٤ ٠
٣ سورة الملك آية:١٠ ٠
٤ سورة العنكبوت آية:٤٣ ٠
٥ سورة الأنفال آية:٢٢ ٠

ثانيا: العقل ومشتقاته فى السنة النبوية :

إن الذى يتأمل أيضا فى أقوال النبى-صلى الله عليه وسلم-يجد أن كلمة "العقل" قد وردت فى مواضع عدة فى أحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ومن هذه الأحاديث على سبيل المثال ما يلى:

١- أخرج الإمام مسلم فى صحيحه بسنده، عن عبد الله بن عمر-رضى الله عنهما-، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإنى رأيتكن أكثر أهل النار، فقالت امرأة منهن: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن، فقالت: يا رسول الله: وما نقصان العقل والدين؟ قال:أما نقصان العقل، فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالى ما تصلى وتفطر فى رمضان فهذا نقصان الدين)([1]) .

٢- أخرج الإمام أبو داود بسنده، عن ابن عباس-رضى الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : (رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يفيق ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يحتلم)([2]) .

---

١ صحيح مسلم، للإمام/مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى، تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقى، كتاب الإيمان، باب، بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات ج١ ص٨٦ مرجع سابق.

٢ سنن أبى داود، للإمام/أبى داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدى السجستانى، تحقيق/محمد محيى الدين عبد الحميد، كتاب الحدود، باب فى المجنون يسرق أو ==

٣-أخرج الإمام أحمد فى مسنده، بسنده عن أبى هريرة-رضى الله عنه-عن النبى-صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (كرم المرء دينه، ومروءته عقله، وحسبه خلقه)([1]) .

٤- أخرج الطبرانى فى الأوسط، بسنده عن على بن أبى طالب-رضى الله عنه- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: (رأس العقل بعد الإيمان التحبب إلى الناس)([2]) .

==

يصيب حدا ج٤ ص١٤٠ الناشر المكتبة العصرية صيدا بيروت بدون تاريخ ، والحديث أورده الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد في باب:حد البلوغ لإيجاب الحد ، وقال: لا يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد ، وفيه عبد العزيز بن عبيد الله بن حمزة وهو ضعيف ج٦ ص٢٥١ ، تحقيق/حسام الدين القدسي ، الناشر مكتبة القدسي بالقاهرة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .

١ مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق/شعيب الأرنؤوط وآخرين، مسند أبى هريرة ج١٤ ص٣٨١ مرجع سابق ، والحديث ذكره الإمام العراقي بسنده عن أبي هريرة ، وقال : فيه مسلم بن خالد الزنجي وقد تكلم فيه ، ورواه البيهقي موقوفا على عمر ، وقال إسناده صحيح (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للإمام/ أبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي -كتاب رياضة النفس ج١ ص٩٣١ ، الناشر دار ابن حزم بيروت لبنان ط أولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)

٢ المعجم الأوسط، للإمام/سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمى الشامى أبى القاسم الطبرانى، تحقيق/طارق بن عوض الله بن محمد وآخرين، باب من اسمه عبد الوهاب ج٥ ص١٢٠ الناشر دار الحرمين بالقاهرة، وأيضا أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان، تحقيق، د/عبد العلى عبد الحميد حامد، باب فى طلاقة الوجه وحسن البشر لمن يلقاه ج١٠ ص٤٠٦ الناشر مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع
==

٥- أخرج الطبرانى- أيضا- فى الأوسط، بسنده عن أبى أمامة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:لما خلق الله العقل قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له:أدبر، فأدبر، فقال:وعزتى ما خلقت خلقا أعجب إلى منك، بك آخذ، وبك أعطى، وبك الثواب، وعليك العقاب)([1]) .

إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية الشريفة التى تؤكد مرجعية"العقل" وتمدحه، كما تحض الإنسان على أن يعمل فكره وعقله فى أى مشكلة تواجهه فى حياته، حتى يتخذ القرار المناسب بناء على ما يهديه إليه عقله السليم وتفكيره السديد.

==

الدار السلفية ببومباى بالهند ط أولى١٤٢٢ه-٢٠٠٢ م ، والحديث أورده الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، بسنده عن علي بن أبي طالب ، وقال: رواه الطبراني في الأوسط والصغير ، وفيه جماعة لم أعرفهم (مجمع الزوائد ، باب ماجاء في حسن الخلق ج٨ ص٢٤ ، تحقيق /حسام الدين القدسي ، مرجع سابق)

١ المعجم الأوسط، للإمام/الطبرانى، باب: من اسمه محمد ج٧ ص١٩٠ ، وأيضا، البيهقى فى شعب الإيمان، باب:حديث العابد ج٦ ص٣٤٩ ، والحديث قال فيه الإمام السيوطي : وقد وجدت له أصلا صالحا ، فأخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد بسنده عن مالك بن دينار عن الحسن مرفوعا ، وهذا مرسل جيد الإسناد ، وهو في معجم الطبراني الأوسط موصول من حديث أبي أمامة ومن حديث أبي هريرة بإسنادين ضعيفين (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للإمام/ عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ، باب حرف اللام ج١ ص١٦٨ ، تحقيق د/ محمد بن لطفي الصباغ ، الناشر عمادة شئون المكتبات-جامعة الملك سعود بالرياض بدون تاريخ)

ثالثا: العقل في ميزان الإسلام :

إن العقل نعمة من أعظم النعم التى امتن الله-عز وجل-بها على الإنسان وميزه بها على سائر المخلوقات ، ولذا يقول الإمام الغزالى-رحمه الله-:

(العقل منبع العلم وأساسه، والعلم يجرى منه مجرى الثمرة من الشجرة، والنور من الشمس، والرؤية من العين، فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة فى الدنيا والآخرة، والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل، حتى إن أعظم البهائم بدنا وأشدها ضراوة، وأقواها سطوة، إذا رأى صورة الإنسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه، لما خص به من إدراك الحيل)([1])، ولذا يقول الله-تعالى- (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) ([2]) .

والأفئدة هى محل العقول، كما قال -سبحانه-:(أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) ([3]) .

يقول الإمام القرطبى-رحمه الله-:

(وقد أضاف الله -سبحانه- العقل إلى القلب لأنه محله، كما أن السمع

---

١ إحياء علوم الدين، للإمام/أبى حامد محمد بن محمد الغزالى ج١ ص٨٣ ، تحقيق/محمد عبد الملك الزغبي- قدم له أ.د/عامر النجار ط دار المنار .

٢ سورة الملك آية:٢٣ .

٣سورة الحج آية:٤٦ .

محله الأذن)([1]) .

والقرآن الكريم يخاطب العقول فى كافة آياتــه ، ويجعــل التفكيــر والتدبر من أعلى درجات العبادة، كما يضع العقلاء والعلماء فــى أعظــم المراتب وأرفعها عند الله–تعالى– ، قال الله–تعالى–:(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) ([2])، وقال الله–سبحانه–:(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ([3]) .

كما نجد القرآن الكريم يمدح الذين يستخدمون عقولهم ويتأملون بها فى ملكوت السموات والأرض ، قال الله–تعالى:(إن فــي خلــق الســموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يــذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) ([4]) .

كما نعى القرآن الكريم على من ألغوا عقولهم وعطلوها عن التأمــل والنظر مبررين ذلك بتقليدهم للآباء والأجداد، قال الله –تعالى:(وإذا قيــل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آبــاؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع

---

١ الجامع لأحكام القرآن، للإمام/شمس الــدين القرطبــى، تحقيق/أحمــد البردونــى، وإبراهيم أطفيش ج١٢ ص٧٧ الناشر دار الكتب المصرية بالقاهرة ط ثانية ١٤٦٤م.

٢ سورة المجادلة آية:١١ .

٣ سورة الزمر آية:٩ .

٤ سورة آل عمران الآيتان:١٩١، ١٩٠ .

إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون) ([1]) .

كما شبه القرآن الكريم من لا يستعمل حواسه فيما خلقت له بالأنعام بل أضل سبيلا ، من ذلك قوله سبحانه:(ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)([2]) .

كما نجد فى السنة النبوية جملة من الأحاديث التى تمدح أهل الفكر وتقدم أصحاب العقول على غيرهم من الناس ، فقد أخرج الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن ابن مسعود-رضى الله عنه-قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليلينى منكم أولوا الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم)([3]) .

وأخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن حميد بن عبد الرحمن قال: سمعت معاوية خطيبا يقول: سمعت النبى-صلى الله عليه وسلم-يقول: (من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين)([4])

ومن هنا فالإسلام يؤكد على احترام العقل وتكريم أهله ، لأنه مناط التكليف ، وبه يتحمل الإنسان مسئولية نفسه ثوابا وعقابا، ومن فقد العقل

---

١ سورة البقرة الآيتان:١٧١، ١٧٠ .

٢ سورة الأعراف آية:١٧٩ .

٣ صحيح مسلم، تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقى، كتاب الصلاة ، باب تسوية الصفوف وإقامتها ج١ ص٣٢٣ مرجع سابق.

٤صحيح البخارى، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ج١ ص٢٨، ٢٧ مرجع سابق.

لأى سبب من الأسباب زال عنه التكليف والحساب والعقاب، لأن العقل نبراس يهتدى به صاحبه إلى الخير والصواب.

وترجع أهمية العقل فى الإسلام إلى عدة أمور لعل من أهمها ما يلى:

١- إن العقل هو الذى ميز الله-تعالى- به الإنسان وشرفه وفضله على سائر الكائنات، ومن ثم سخر الله-تعالى- الكون كله للإنسان بما وهبه من العقل الذى يستطيع به التدبر والإدراك .

٢- إن العقل بما يملك من طاقات إدراكية أودعها الله-تعالى- فيه له دوره المهم والواضح فى الاجتهاد والتجديد إلى يوم القيامة، بعيداً عن الأوهام والخرافات، حتى بعد انقطاع الوحى الإلهى (والذى لا شك فيه أن الدعوة إلى الاجتهاد هى دعوة لحرية العقل وحرية الرأى وتدعيما لهما، ولذا كان التقليد الأعمى منبوذا فى الشريعة الإسلامية، وفى هذا إعزاز للفكر ليس بعده إعزاز، وإطلاق لحرية العقل دونه أى إطلاق)([1]) .

٣- العقل أحد الضرورات الخمس التى يجب المحافظة عليها، وهو أصل من أصول المصالح التى بدونها لا مجال لوجود الإنسان ولا لحياته الاجتماعية، لأن العقل(هو الفطرة الغريزية والنور الأصلى الذى به يدرك الإنسان حقائق الأشياء)([2]) .

إذن فالإسلام الحنيف هو الدين الصحيح الحق الذى يعمل على تحرير العقول البشرية من آثار الأوهام والخرافات، ويتيح لها كافة المواهب

---

١ العقل والدين، د/هانى المرعشلى ص٣٢ ط المكتب العلمى للنشر والتوزيع بالإسكندرية ٢٠٠١ م .

٢ إحياء علوم الدين، للإمام/أبى حامد الغزالى ج٣ ص٤١٠ مرجع سابق .

لإدراك السعادة فى الدنيا والآخرة، مما يؤكد المكانة العالية والمنزلة الرفيعة لهذا العقل فى الإسلام .

رابعا: حفاظ الإسلام على العقل والاستفادة منه :

من المعلوم جلياً أن مقصود الشرع من الخلق يتمثل فى خمسة أمور تسمى بالضرورات الخمس وهى:حفظ الدين ، والنفس، والنسل، والعقل، والمال، ومن ثم فإن كل ما يتضمن المحافظة على هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، كما أن كل ما يؤدى إلى الضرر بهذه الأصول فهو مفسدة ينبغى دفعها، فالعقل أحد تلك الضرورات الخمسة التى جاء الإسلام للحفاظ عليها بل أهمها إذ بحفظ العقل تحفظ بقية الضرورات أو الكليات الأخرى حيث لا مال ولا نفس بلا عقل ، وكذلك الدين والنسل ، لذا اعتنى الإسلام الحنيف بالعقل واهتم به اهتماماً بالغاً، وشرع من الأحكام والتشريعات ما يضمن المحافظة عليه، بالإضافة إلى الوصايا والتوجيهات التى تتيح الاستفادة منه .

وتتجلى حماية الإسلام للعقل والاستفادة منه فى أمور كثيرة لعل من أهمها ما يلى:

١- تربية العقل على اتباع البرهان ونبذ التقليد الأعمى لتتحقق استقلاليته فى الفهم والنظر:وفى ذلك يقول الله–سبحانه–:(ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) ([1])، وقال –سبحانه–:(قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من

١ سورة المؤمنون آية:١١٧ .

علم إن كنتم صادقين) ([1])

يقول الدكتور/عبد الحليم محمود-رحمه الله-:

(إن القرآن الكريم هو كتاب العقل، وأنه بأكمله دعوة صارخة لتحرير العقل من عقاله، وأنه يدعونا بعبارات تختلف فى أسلوبها وتتحد فى معناها إلى استعمال العقل ووزن كل شيئ بميزانه، وأنه يترك لنا الحرية فى أن نعتقد ما يرشد إليه عقلنا، وأن نتبع السبيل الذى ينيره منطقنا أو يهدينا إليه تفكيرنا[2]*)([3]) .

٢- حرم الإسلام تحريما قاطعا كل ما يذهب العقل ويضر به أو يعطل طاقاته: ولذ حرم الله-سبحانه- الخمر والمسكرات بكل أنواعها، قال

---

١ سورة الأحقاف آية:٤ ٠

٢*نعم إن القرآن الكريم -كتاب الله المحكم- دعوة صارخة لتحرير العقل مما علق به من خرافات الجاهلية وخزعبلات الأوهام والأباطيل ، وكم تعددت أساليبه وتنوعت ، وهي في مجموعها تدعو إلى استعمال العقل وتفعيله ، أما قول الإمام بأن القرآن ترك لنا الحرية في أن نعتقد ما يرشد إليه عقلنا ٠٠٠الخ فليس على إطلاقه ، فالعقول مهما أحرزت من العلوم والمعارف إلا أنها قاصرة عن إدراك الكثير والكثير لاسيما فيما يتصل بالغيبيات والتي هي مجال الاعتقاد ، فلعل مراد الشيخ -رحمه الله- من تلك العبارة ، أن الإسلام برئ من الطلاسم والألغاز ، وليس فيه أسرار يمكن أن يستقل البعض بمعرفتها ويحجب عنها البعض الآخر كما هو الشأن في الديانات الأخرى ، أما حرية العقل في اعتقاد ما يرى ، فلأن عقائد الإسلام لا يصطدم شيئ منها مع العقل ، فما يدركه العقل منها من قبيل المسلمات التي لا تختلف فيها العقول السوية ، وما لا يدركه العقل فالعقول على يقين بعجزها عن إدراكه ، وهذا عين احترام العقل ومكانته ومعرفة حدوده ٠

٣ التوحيد الخالص أو الإسلام والعقل، د/عبد الحليم محمود ص١٥ الناشر دار الكتب الحديثة مطبعة حسان ١٩٧٣م ٠

الله–تعالى–:(يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم مهتدون) ([1]) .

٣- حض الإسلام على تنمية العقل: وذلك بالتأكيد على طلب العلم واعتباره الموصل إلى خشية الله–سبحانه–، قال الله–تعالى–:(إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور) ([2])، ويقول النبى–صلى الله عليه وسلم– (ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه)[3]

يقول الشيخ/محمد الغزالى–رحمه الله–:

(لا سبيل إلى معرفة الله عن طريق التأمل فى ذاته فإن الوسائل إلى ذلك معدومة، وإنما طريق التعرف على الله يبدأ من التأمل فى خلقه، وعن طريق التفكير السليم فى الحياة والأحياء واستخلاص المعارف القيمة الخارجة من الأرض أو النازلة من السماء، يمكننا أن ندرك طرفاً من

---

١ سورة المائدة الآيتان:٩١، ٩٠ ٠

٢ سورة فاطر آية:٢٨ ٠

٣أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بهذا اللفظ بسنده عن أبي هريرة ، كتاب الذكر والدعاء والتوبه والاستغفار ، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ج٤ ص٢٠٧٤، تحقيق /محمد فؤاد عبد الباقي ، مرجع سابق ٠

عظمة الخالق الأعلى وما ينبغى أن يوصف به من كمال)[1] .

٤- حرر الإسلام العقل من سلطان الخرافة والأوهام:وذلك بتحريمه للسحر والكهانة وغيرها من أساليب الدجل والخرافة، ولذا يقول النبى- صلى الله عليه وسلم-: (من أتى كاهناً فصدقه بما يقول، أو أتى امرأته فى دبرها فقد برئ بما أنزل على محمد-صلى الله عليه وسلم-)[2] .

(فالعقل يعمل دائماً ضد الخرافة والوهم عند الفرد أو الجماعة، ولذا كان أول شيئ تتم به سعادة الأمم صفاء العقول من كدر الخرافات والأوهام)[3] .

وبعد هذا العرض الموجز حول مكانة العقل ومنزلته فى الإسلام ، انتقل بعد ذلك-بعون الله وتوفيقه-إلى التأصيل الإسلامي للموضوعية الفكرية وأهم مظاهرها، فأقول وبالله التوفيق .

---

١ نظرات فى القرآن، للشيخ/محمد الغزالى ص١٣٤ ط دار الكتب الحديثة، مطبعة السعادة ط ثانية ١٣٨٠هـ-١٩٦١م٠

٢ أخرجه أبو داود فى سننه عن أبى هريرة، كتاب الطب، باب فى الكاهن ج٤ ص١٥ مرجع سابق ، والحديث ذكره الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد وقال:فيه رشيد بن سعد وهو ضعيف ، وفيه توثيق في أحاديث الرقاق ، وبقية رجاله ثقات(مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، باب فيمن أتى كاهنا أو عرافا ج٥ ص١١٨، ١١٧ مرجع سابق)

٣ العقل والدين، د/هانى المرعشلى ص٢٣ مرجع سابق ٠

المبحث الثاني

التأصيل الإسلامي للموضوعية الفكرية وأهم مظاهرها

من المعلوم أن الفكر صفة ملازمة للإنسان منذ وجوده، يتميز بها عن سائر المخلوقات حيث علم الله تعالى آدم الأسماء كلها ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وفضله على كثير من خلقه تفضيلا.

ومن رحمة الله تعالى بعباده أن أرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين، من أجل هداية الخلق، وتعريفهم بوظائفهم في هذه الحياة، من خلال وحدة الخطوط العريضة التي جاء بها جميع الأنبياء –عليهم السلام– والمتمثلة في توحيد الله تعالى وعبادته، وكف الأذى عن الناس، وإعمار الأرض ....الخ، حتى بعث الله تعالى خاتم الأنبياء والمرسلين محمداً صلى الله عليه وسلم، وأنزل عليه قرآناً عظيماً واضحاً مبيناً ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون، من خلال أسلوب بديع يخاطب العقل والوجدان.

وفي سبيل توضيح حقيقة التأصيل الإسلامي للموضوعية الفكرية، فإننا نسوق جملة من المبادئ التي سردها القرآن الكريم وبينتها السنة النبوية المطهرة كمظاهر للموضوعية الفكرية في نطاق عمل الإنسان المسلم.

ونحن هنا لا نعمد إلى استقصاء جميع مظاهر الموضوعية الفكرية في الإسلام، وإنما سنذكر بعضها على سبيل المثال وليس الحصر وذلك فيما يلي:

١-الحث على النظر والتفكير:

الأمر بإمعان النظر فى ملكوت السموات والأرض وفى النفس البشرية ومدح من يفعل ذلك هو من أهم مظاهر الموضوعية الفكرية في الإسلام.

يقول الشيخ /محمد الغزالى-رحمه الله-: (إن أعظم شيئ فى رسالة الإسلام احترامها للعقل وحفاوتها بالعلم الطبيعى، وبناؤها اليقين على النظر الصائب فى ملكوت الأرض والسماء، ولا يوجد كتاب سماوى حث العقل على النظر وقاد العلم فى مضمار البحث كهذا القرآن الكريم، إننا بمنطق القرآن نرفض الظنون ونخضع لليقين، نرفض الأوهام ونستكين للحقيقة وحدها)([1])، ولذا يقول الله-سبحانه-:(قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) ([2])، وقال سبحانه:(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) ([3])، وقال سبحانه :(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت)[4]، وقال سبحانه:(وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون)[5].

(وحيث إن القرآن الكريم كلام الله والكون من عمل الله، فكان من

---

١ قذائف الحق، للشيخ/محمد الغزالى ص٦٧ الناشر دار القلم دمشق ط أولى١٤١١هـ-١٩٩١م .

٢ سورة يونس آية:١٠١

٣ سورة آل عمران آية:١٩٠ .

٤سورة الغاشية : الآيات ١٧-٢٠

٥سورة الذاريات :الآيتان ٢١، ٢٠

الطبيعى أن يستمد القرآن كثيراً من حكمه وأمثاله من الكون، وعلى هـذا النحو تحدث عن السماء والهواء والماء ونحوها)([1]) ، ولذا أكثر القرآن الكريم من عرض الآيات الكونية، ولم يكن هذا أبداً اعتباطاً، وإنما لأخذ العبر والعظات واستثارة العقل للتأمل والنظر، حتى يزداد إيمانـا ويقينـا بخالق السموات والأرض-سبحانه-

ومن النماذج على ذلك قوله تعالى:(أفلم ينظروا إلى السـماء فـوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مـددناها وألقينـا فيهـا رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبـد منيـب ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحـب الحصـيد والنخـل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج)([2])، وقال سبحانه :(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسـكنوا إليهـا وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعـالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلـك لآيـات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء مـاءً فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقـوم يعقلـون)[3] وقـال سبحانه: (والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين

---

١ الإسلام وقوانين الوجود، د/محمد جمال الدين الفندى ص٥٩ ط الهيئـة المصـرية العامة للكتاب ١٩٨٢م ٠

٢ سورة ق آية٦ -١١

٣سورة الروم:الآيات ٢١-٢٤

فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون)[1] ، وقال سبحانه :(وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون)[2] .

فالله–تعالى–قد دعا الإنسان أن يتأمل بعقله فى ملكوت السموات والأرض، لأن فى ذلك عبرة يتعلمها الإنسان توصله إلى إدراك قدرة الله–تعالى–فى الكون، ومن ثم الإيمان به حق الإيمان ٠

(وربما يظن البعض أن مظاهر الكون الكبرى لا أهمية لها كثيراً فى حياتنا العملية، ولكن الواضح كما أثبته العلم الحديث، أن أحوالنا اليومية لا يمكن أن تستمر كما هى لولا وجود أجزاء الكون البعيدة، فكما لا يستطيع الإنسان أن يعيش على الأرض بمعزل عنها بهوائها وشمسها ونباتها وحيواناتها، فكذلك لا تستطيع الأرض أن تعيش بمعزل عن أمها الشمس ولا عن غيرها من الكواكب، ولا تستطع المجموعة الشمسية أن تعيش بمعزل عن المجرات السماوية الأخرى، فهى كلها بمثابة حبات عقد لا تنفرط واحدة منها إلا واختل العقد كله، ولن تنفرط حبات هذا العقد إلا يوم القيامة، لأن هذا الاختلال من علامات يوم القيامة)([3]).

١سورة النحل: الآيات ٦٥–٦٧

٢سورة الأنعام :الآيتان ٩٨، ٩٧

٣ الإسلام والكون، د/عبد الغنى عبود ص٢٠، ١٩ ط دار الفكر العربى ط أولى ١٩٧٧م٠

هذا بالإضافة إلى ضرب الأمثال العقلية لتأكيد الإيمان بأركان العقيدة، كالإيمان بوحدانية الله-تعالى- والإيمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب، (فالقياس فى ضرب الأمثال من خاصة العقل، وقد ركز الله فطر الناس وعقولهم على التسوية بين المتماثلين وإنكار التفريق بينهما، والفرق بين المختلفين وإنكار الجمع بينهما، وقد أرشد الله-تعالى- عباده إليه فى غير موضع من كتابه، فقاس النشأة الثانية على النشأة الأولى فى الإمكان، وجعل النشأة الأولى أصلاً والثانية فرعاً عليها، وقاس حياة الأموات بعد الموت على حياة الأرض بعد موتها بالنبات، وقاس الخلق الجديد الذى أنكره أعداؤه على خلق السموات والأرض، وقاس الحياة بعد الموت على اليقظة بعد النوم، وضرب الأمثال وصرفها فى الأنواع المختلفة، وكلها أقيسة عقلية ينبه بها عباده على أن حكم الشيئ حكم مثله، فإن الأمثال كلها قياسات يعلم منها حكم الممثل من الممثل به، فقد اشتمل القرآن على بضعة وأربعين مثلاً تتضمن تشبيه الشيئ بنظيره والتسوية بينهما فى الحكم)([1]) ، قال تعالى:(وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون([2]) .

فالتأمل فى السماء وبنائها وزينتها، وضرب الأمثال العقلية لأنواع المخلوقات المختلفة، تملأ النفس إيماناً بالله وخشية منه-سبحانه- والاعتراف بقدرته ووحدانيته فى الكون والوجود، ناهيك عن كونها

---

١ إعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام/شمس الدين بن قيم الجوزية، تحقيق/محمد عبد السلام إبراهيم ج١ ص١٠١ الناشر دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٤١١هـ-١٩٩١م .

٢ سورة العنكبوت آية:٤٣ .

توجيهات قرآنية تفتح أمام العقل الباب واسعا لتنمية قدراته ومواهبه للاستفادة منه ومن إبداعاته، لأن (أسلوب الدعوة إلى الملاحظة والتأمل في ملكوت السموات والأرض هو أسلوب له تأثير عقلي ووجداني في وقت واحد، فعن طريقه تجد العقول الباحثة عن الحق الدليل الذي لا يجحد على أن لهذا الكون إلهاً منفرداً بالملك متعالياً عن الشركاء متصفاً بكل كمال، ومن سمات هذا الأسلوب أن تأثيره ذاتي متجدد، لا يختص بعصر دون عصر، ولا بجنس دون جنس، ولا بمستوى ثقافي دون آخر، فمتى وجه الإنسان فكره إلى هذا السبيل انثالت عليه تأثيراته العقليه والروحية فلا يملك لها دفعا، وكلما ازداد علماً ازدادت قدرته على استقبال فيض أعظم من هذه التأثيرات)[1]

وهنا نلاحظ أن حث القرآن والسنة على النظر والتأمل هو من أهم مظاهر الموضوعية الفكرية في الإسلام.

٢-التبين والتثبت قبل الحكم على الأشياء:

إن التثبت والتبين قبل إصدار الأحكام هو من أهم مظاهر الموضوعية الفكرية في الإسلام، وقد ركز القرآن الكريم على هذا الجانب حتى لا يقع المسلم في دائرة الظلم أو الجهالة، نتيجة الفهم الخاطئ للأمور، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)[2]

١أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً د/عبدالغني محمد سعد بركة ص٣٤٣ مكتبة وهبة ط أولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٢سورة الحجرات:آية ٦

كما يحكي القرآن الكريم قول سيدنا سليمان عليه السلام حينما طلب من الهدهد البرهان والدليل، قال تعالى: (وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين، لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين)[1]

(إن مما يساعد على تخفيف التوتر وسد بعض نوافذ التعانف هو التريث في إصدار الأحكام والتثبت والتبين قبل اتخاذ مواقف محددة، لأنه قد تقوم حروب باردة وساخنة بين قبائل وطوائف بناء على ما يسمعه الناس من كلام الوشاة والنمامين، وإن تاريخنا وواقعنا حافلان بالقصص المحزنة والأحداث الأليمة التي وقعت بسبب الاستعجال في تنظيم ردود الأفعال على ما يقال هنا وهناك، لأن كثيراً من الأخطاء الفادحة يقع بسبب الانطلاق من الظنون والأوهام)[2]

ومن هنا فإن جميع أحكام الشريعة الإسلامية قائمة على التثبت من الدليل وطلب البرهان قبل الحكم على الأمور، فالحدود على سبيل المثال لا يتم تنفيذها على الناس إلا بعد اليقين من الجرم، هذا بالإضافة على التأكيد على قانون "البينة على من ادعى"، فمن ادعى شيئاً فعليه أن يقدم الدليل والبرهان، حتى أصبحت محورية الدليل والبرهان من أهم مرتكزات آيات القرآن الكريم أمام أي قضية أو رأي، قال تعالى: (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)[3]، وقال أيضاً سبحانه: (قل هل عندكم من

١سورة النمل: الآيتان ٢٠ ، ٢١

٢من أجل الدين والأمة د/عبدالكريم بكار ص٧٨ ط دار السلام للطباعة والنشر والترجمة ط أولى ١٤١٣هـ ٢٠١٠م.

٣سورة البقرة: آية ١١١

علم فتخرجوه لنا)[1].

٣-القيام بالقسط ولو مع الأعداء:

إن الإنسان عندما يكون بصدد التعامل مع فكرة أو معلومة، أو شخص أو جماعة، فإنه في كثير من الأمور قد يخفي عيوب من يحب، أو يتغاضى عن مكارم وفضائل من يكره، وبالتالي فقد يستحضر من الأدلة ما يسعف مراده بينما يغض الطرف عن غيرها، لذا أمر القرآن الكريم بالقسط والعدل ولو كان مع أعدائنا، وهذا من مظاهر الموضوعية في القرآن الكريم، قال تعالى: (ولا يجرمنكم شنئان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا)[2]، وقال تعالى: (ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً)[3]

يقول الإمام ابن كثير – رحمه الله-في تفسير هذه الآية:

(أي فلا يحملنكم الهوى والعصبية وبغض الناس إليكم على ترك العدل في أموركم وشؤونكم، بل الزموا العدل على أي حال كان)[4]، وقال تعالى

١سورة الأنعام: آية ١٤٨

٢سورة المائدة:آية ٢

٣سورة النساء:آية١٣٥

٤تفسير القرآن العظيم للإمام/ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصـــري الدمشقي ج٢ ص٣٨٣ ، تحقيق/محمد حسين شمس الدين، الناشر دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٤١٩هـــ.

أيضاً: (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون)[1]

فالقيام بالقسط والعدل بين الناس من مظاهر الموضوعية الفكرية التي قررها القرآن الكريم، وضده الظلم الذي يؤدي إلى الزيغ والبعد عن الحق.

٤-النهي عن سوء الظن:

إن النهي عن سوء الظن من أهم المظاهر التي قررها الإسلام الحنيف في طريق الموضوعية الفكرية، لأن سوء الظن هي الخطوة التي إن زلت فيها قدم الإنسان فلن يستقيم له ما بعدها من خطوات على الإطلاق، لأن الأساس الواهي يجعل البناء القائم عليه في حكم المنهار مهما بدا عالياً شامخاً، لما ينتج عن ذلك من الانهيار الحتمي عاجلاً لا آجلا.

ومن هنا جاءت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تحذر من سوء الظن، وتحوط المسلم بصون عرضه وكرامته، قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عندالله أتقاكم إن الله عليم خبير)[2]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم

١سورة المائدة :آية ٨

٢سورة الحجرات: الآيتان ١٢ ، ١٣

قال: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا وكونوا إخواناً)[1]

فالظنون غير صالحة على الإطلاق، ولا يصح الاعتماد عليها في بناء المعلومات لأنها متأرجحة بين الصواب والخطأ، بل تكون أقرب إلى دائرة الشك من اليقين، وقد يكون بعضها أوهاماً وخرافات لا أساس لها على أرض الواقع.

وبعد، فحسبنا هنا إشارة سريعة إلى أهم مظاهر الموضوعية الفكرية التي تدل على تأصيلها في الإسلام، وأنتقل بعد ذلك إلى المبحث التالي عن أهم ضوابط الموضوعية الفكرية في الإسلام وأبرز معوقاتها، فأقول وبالله التوفيق..

١صحيح البخاري كتاب النكاح باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع ج٧ ص١٩ مرجع سابف ، واالتجسس:أي البحث عن العورات والسيئات، والتحسس:طلب معرفة الأخبار والأحوال الغائبة(هامش صحيح البخاري نفس الجزء والصفحة).

المبحث الثالث

ضوابط الموضوعية الفكرية في الإسلام وأبرز معوقاتها

لا شك أن ثقافة الغرب المادية قد أعملت أنيابها في أبناء الأمة الإسلامية لدرجة كبيرة فيما يعرف بالغزو الثقافي والفكري، مستخدماً في سبيل تحقيق مآربه الآلة الإعلامية الخطيرة، في سعي دءوب لنقل المجتمعات المسلمة من حياة تنظمها أعراف الدين وقوانين الشريعة إلى حياة أخرى تبعد سلطان الشرع من الحياة حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم أنه الحق.

ولا يخفى على عاقل أن الأمة الإسلامية قد ابتعدت عن النهج الصحيح الذي جاء به الإسلام لإعمال الفكر الذي به يعرف الحق من الباطل والغث من السمين، حتى غدت وتحولت الأمة من أمة منتجة للعلم والحضارة الإنسانية إلى أمة تابعة لأفكار غيرها فابتعدت كثيراً عن الخيرية بين الأمم لابتعادها عن شروطها.

هذا وسوف ينتظم الحديث هنا في هذا المبحث حول مطلبين أساسيين هما:

المطلب الأول: أهم ضوابط الموضوعية الفكرية في الإسلام

المطلب الثاني: أبرز معوقات الموضوعية الفكرية

فأقول وبالله التوفيق

المطلب الأول: أهم ضوابط الموضوعية الفكرية في الإسلام

إن المتتبع لمسارات الحضارات والأمم يلاحظ أن نهضة أي أمة مرتبط ارتباطاً وثيقاً ببنائها الفكري والثقافي الذي يفرز حكمة وخبرة ومهارة في التعامل مع القضايا وحل المشكلات، ولا يمكن أن يتم أي بناء فكري إلا على أسس وضوابط ينطلق منها ودعائم يقوم عليها.

ومن أهم ضوابط الموضوعية الفكرية في الإسلام ما يلي:

أولا:احترام الرأي الآخر وعدم إقصائه:

إن من أهم ضوابط الموضوعية الفكرية في الإسلام إحترام الرأي الآخر وعدم إقصائه وهذا يؤدي حتماً إلى الحوار معه بصدر رحب، ولين جانب، وهذا ما يسميه القرآن الكريم بالحكمة، قال تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)[1]

(والحكمة هي: كل كلام وافق الحق، وقيل:وضع الشيئ في موضعه، وقيل:هي كل ما له عاقبة محمودة)[2]

وكون احترام الرأي الآخر من أسس وضوابط الموضوعية الفكرية في الإسلام، لأن الهدف هو الوصول للحق بدون استخفاف أو استعلاء من البعض على الآخر، بل باللين والرحمة بينهم، كما قال سبحانه: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف

١سورة النحل: آية ١٢٥

٢التعريفات للإمام الجرجاني ص١٢٣ ، ١٢٤ مرجع سابق.

عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر)[1]، وذلـــك لأن الـــنفس البشـــرية بطبيعتها تتقبل الحوار ممن يحسن التعامل معها، كما أنها تنفر بل وتعاند من يغلظ عليها.

يقول الدكتور/عبدالحليم محمود -رحمه الله-:

(إذا كانت كلمة الحكمة تطلق عند علماء الإسلام ويراد بها الكثير من المعاني، مثل الإصابة في القول والعمل، ومنها الفهم، ومنها إصـــلاح الدين والدنيا، فإن الواقع أن معاني هـــذه الكلمـــة تنقســـم طبيعيـــاً إلـــى قسمين:أحدهما:ما يبدو في السلوك الخارجي من ساد في الرأي واتزان في التفكير واتجاه في السلوك إلى الطريـــق الأقـــوم، والثـــاني:هو الناحيـــة الإشراقية الإلهامية، وهي ناحية باطنية داخلية، يعلمها صاحبها ويلقنهـــا من يصطفيهم من خاصة صحبه أو تلاميذه، وهذان المعنيان لا يتعارضان وإنما يوجدان في انسجام وتناسق، ومما لا شك فيه أنه لا يوجد المعنـــى الثاني بدون المعنى الأول، فالشخص الملهم مسدد الرأي متزن التفكيـــر، فهو حكيم ظاهرياً وباطنياً، وبهذين المعنيين فسر علماء الإســـلام معنـــى كلمة حكمة في كثير من آيات القرآن الكريم)[2]

ولعل ما يؤكد ويوضح كلام فضيلة العلامة الدكتور/عبدالحليم محمود -رحمه الله- قوله تعالى: (ادع إلى ســـبيل ربـــك بالحكمـــة والموعظـــة

١سورة آل عمران: آية ١٥٩

٢التفكير الفلسفي في الإسلام د/عبدالحليم محمود ص٢٢٨ ، ٢٢٩ بتصرف يســـير ط دار الكتاب اللبناني ١٩٨٩م.

الحسنة)[1]، وقوله تعالى في آية أخرى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)[2]

فلعل كلمة "بصيرة" أقرب إلى تفسير الحكمة بالمعاني الإشراقية التي أشار إليها رحمه الله تعالى.

كما أن احترام الرأي الآخر وعدم إقصائه تأكيد على عدم امتلاك أحد من الناس للحقيقة المطلقة، إذ أن (ادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة ينبني على خللين أو أحدهما: علة نفسية تدفع صاحبها إلى تزكية ذاته واتهام الآخرين، وخلل فكري ناتج عن رؤية الحقيقة من وجه واحد، وهو مرض عضال حذر منه أصحاب الفكر السوي قديماً وحديثاً)[3]

فمن الحكمة التي توصل إلى الموضوعية أن تأكد للآخر احترامك لرأيه وعدم إقصائه، لأن الغاية هي الوصول للحق وليس مجرد الانتصار للاراء والأهواء.

ثانياً:أن يكون محور الحديث مرتكزاً على الأفكار لا على الأشخاص:

من المنطق بمكان ألا نقف عند حدود الصور أوالأسماء التي لا تؤثر في النتائج، بالضبط تماماً كما هو الحال في تقييم أي طالب أثناء تأدية الامتحان، فلا ينبغي أن ينظر إلى سكنه أو لونه أو غير ذلك من الأمور الشكلية التي لا ينبغي النظر إليها عند الحديث عن نجاح الطالب أو رسوبه، بل ينبغي النظر الى الجوهر المتعلق بسلوك الطالب وورقة

١سورة النحل:آية ١٢٥

٢سورة يوسف: آية ١٠٨

٣التفكير الموضوعي في الإسلام د/فؤاد البنا ص١٩١ ، ١٩٢ مرجع سابق .

إجابته وما عدا ذلك فهي أمور ثانوية ليست من أساسيات التقييم.

وهذا هو نفس المقياس فيما يتعلق بالموضوعية الفكرية في الإسلام، فالمتأمل في نصوص القرآن الكريم يجد دائماً أن الأمر بالاتباع يكون دوماً للفكرة لا للشخص، ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: (إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم)[1]، وقوله تعالى: (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)[2]، وقوله تعالى: (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)[3]

حتى عندما ترد بعض النصوص التي تشير إلى اتباع بعض الأشخاص، فإن هذا الاتباع يكون أيضاً منضبطاً بالفكرة ولا ينفك عنها أبداً، مثل قوله تعالى: (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم)[4]، وقوله تعالى: (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا)[5]

ناهيك عن النص القرآني الصريح في تأكيد هذا الضابط الأصيل للموضوعية الفكرية وهو المتعلق بالفكرة دون الشخص، وذلك في قوله تعالى: (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)[6] ، (فالمسلم في

١سورة يس: آية ١١

٢سورة الجاثية:آية ١٨

٣سورة الأعراف: آية ١٥٧

٤سورة الطور:آية ٢١

٥سورة الكهف: آية ٦٦

٦سورة الزمر: الآيتان ١٧ ، ١٨

تفاعله مع الآخرين ينظر إلى القول "أي الموضوع" دون القائل "أي الشخص"، بمعنى أن كل قول ينبغي أن يخضع للفكر والمراجعة والتمحيص دون اعتبار لقائله، ولذا قال القرآن الكريم "يستمعون" ولم يقل "يسمعون"، وذلك لأن زيادة المبنى تفيد زيادة المعنى، بمعنى أن الموضوعية تقتضي عدم النظر إلى القائل حتى يتم التحرر من الذاتية، كما تقتضي إعمال العقل بعمق وليس إعمال السمع فقط، مع ضرورة التحلي بآداب السمع وآداب الحوار الذي لا بد أن يتبع عملية الاستماع)[1]، وهذا ما يؤكد أهمية هذا الضابط من ضوابط الموضوعية الفكرية في الإسلام.

ثالثاً:اتقان أدب الحوار وفقه الاختلاف:

إن الحوار يعني الانفتاح الواعي على الآخر، وهو ظاهرة اجتماعية فعالة للمشاركة المجتمعية، وهو في نفس الوقت أسلوب قرآني فريد يؤدي إلى إفحام الخصوم حتى يصل بهم إلى التسليم والإذعان للحق، ومن ذلك على سبيل المثال ما حكاه القرآن الكريم في حوار سيدنا إبراهيم-عليه السلام- مع مدعي الربوبية حيث قال سبحانه: (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتب ها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين)[2]

وهذا الحوار له قواعد وآداب تؤدي إلى الإقناع والوصول إلى

١التفكير الموضوعي في الإسلام د/فؤاد البنا ص٥١ مرجع سابق.

٢سورة البقرة:آية ٢٥٨

الحقيقة، بعيداً عن المراء العقيم والسفسطة الكاذبة، ومن أهم قواعد وآداب الحوار الصحيح على سبيل المثال وليس الحصر ما يلي:

١-الإنصات الجيد للآخر:

من أهم آداب الحوار الاستماع للآخرين والإنصات لحججهم وتبريراتهم، لأن آلية الإنصات والاستماع للآخرين والتقرب من قناعاتهم وتصوراتهم هو السبيل الصحيح الذي يسهل آليات البحث والتمحيص والدقة في اتخاذ القرارات في شتى القضايا بموضوعية وواقعية بعيداً عن الذاتية القاتلة.

ومن الأمثلة على ذلك حوار النبي صلى الله عليه وسلم وإنصاته لكلام عتبة بن ربيعة وقوله له:(قل يا أبا الوليد أسمع، فقال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت من هذا القول مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تريد شرفاً شرفناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه ولا تستطيع أن ترده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال:نعم، قال:فاستمع مني، قال: أفعل، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم صدراً من سورة فصلت حتى انتهى إلى السجدة فسجد فيها، ثم قال: قد سمعت يا أبا ىالوليد ما سمعت فأنت وذاك، فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قال لهم: والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر ولا

بالسحر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصيبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، فقال:هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم)[١]

فالشاهد في ذلك:كيف استخدم النبي صلى الله عليه وسلم أدب الحوار من خلال الإنصات الجيد للآخر، وكيف كان هذا الأسلوب مؤثراً في عقل وقلب عتبة بن ربيعة حتى اعترف بالحق أمام قومه بعد انتهاء حواره مع النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا من مقتضيات الموضوعية الفكرية في التأثير على الآخر للوصول به إلى الاعتراف بالحق والإذعان له

٢-التزام ما يقتضيه العقل والإذعان إلى حكمه:

حيث توجد هناك قوانين عقليه واضحة تؤدي إلى نتائج بدهية ظاهرة لا تحتاج إلى تفلسف أو تعمق في الفهم، ومن ثم ينبغي الإذعان والقبول بها إذا ما أردنا الوصول إلى الحقائق بعيداً عن التعصب والهوى، وهذا ما وضحه القرآن في كثير من نصوصه الحوارية، ومنها على سبيل المثال قوله تعالى في محاورة أهل الكتاب الذين يزعمون انتسابهم إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام، حيث يقول سبحانه: (يا أهل الكتاب لم

١السير والمغازي المعروف بسيرة ابن اسحاق للإمام/محمد بن اسحاق بن يسار المدني، تحقيق/سهيل زكار ج١ ص٢٠٧ الناشر دار الفكر بيروت ط أولى ١٣٩٨ه ١٩٧٨م، وكذا السيرة النبوية لابن هشام للإمام/عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبي محمد جمال الدين، تحقيق/طه عبدالرءوف سعد ج١ ص٢٦١ الناشر شركة الطباعة الفنية المتحدة.

تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون، هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون، ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين، إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين)[1]

فكيف يزعم أهل الكتاب أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كان يهودياً أو نصرانياً، مع أن موسى عليه السلام الذي جاء بالتوراة إلى اليهود، وسيدنا عيسى عليه السلام الذي جاء بالإنجيل إلى النصاري، لم يرسلهما الله سبحانه إلا من بعد سيدنا إبراهيم عليهم جميعاً الصلاة والسلام فكيف تسوغ عقولهم هذا الادعاء إن كان هناك أثارة من علم أو عقل؟ فكان الأولى الالتزام بما يقتضيه العقل والإذعان إلى حكمه بعيداً عن هذا الزيغ والضلال

٣-استخدام اللين وعدم الفظاظة في الحوار:

إن النفس البشرية بطبيعتها عنيدة ومتقلبة، وبالتالي فهي لا تقبل ولا ترضى إلا بمن يحسن إليها، كما أنها تنفر وتزداد عناداً لمن يغلظ عليها، وهذا هو القرآن الكريم يوضح للنبي صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة ويأمره باللين في دعوته مع الناس حتى لا ينفروا منه ويبتعدوا عن دعوته، حيث يقول سبحانه:(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاركهم في الأمر فإذا

١سورة آل عمران: الآيات من ٦٥-٦٨

عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين)[1]

وهنا نلاحظ أن القرآن الكريم يعلمنا قواعد التحكم في الإنسان حتى ينساق هذا الإنسان للحق ظاهراً وباطناً، فالمنهج الرباني يتميز دائماً بأنه (مشبع للعقل والقلب، كافل للدنيا والآخرة، يلبي حاجات الروح والجسد العاجلة والآجلة)[2]

كما أن من لوازم الموضوعية الفكرية أيضاً الإلمام بفقه الاختلاف بين العلماء، لأن الجهل بذلك يؤدي إلى تعصب الإنسان حول رأي من الآراء الاجتهادية وكأنها مقطوعة الدلالة والثبوت، حتى لا يرى هذا المتعصب في المسألة إلا قولاً واحداً هو الرأي الذي تبناه دون غيره من الآراء الأخرى، مع العلم بأن الاختلاف في حد ذاته في المسائل الاجتهادية ليس خطراً لأن (الحقيقة ذات أوجه متعددة، ولا يمكن لطاقات الإنسان الواحد أن تراها جميعاً، والنصوص حمالة أوجه لا يمكن أن ينفرد بتفسيرها أحد، أو يدعي أنه يعرف مراد الله على وجه اليقين، ولهذا أسس القرآن لنسبية الحقيقة، وقد اختلف الصحابة في مدارس عدة دون أن يدعي أحد امتلاكه للحقيقة، وقد ثبت أن احتكار الحقيقة يؤدي إلى تسفيه المسلمين لبعضهم، ومن ثم ينتقل التعدد في أوساطهم من أداة للتنوع والتكامل والتعاون إلى أداة للتناقض والتآكل والتباين)[3] ، وهذا ما يحذر منه القرآن في قوله تعالى: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع

١سورة آل عمران: آية ١٥٩

٢الجانب العاطفي في الإسلام للشيخ/ محمد الغزالي ص٣ ط نهضة مصر ط أولى ٢٠٠٥م.

٣التفكير الموضوعي في الإسلام د/ فؤاد البنا ص٢٠٨ مرجع سابق .

الصابرين)[1]

لذا كان من ضوابط وأسس الموضوعية الفكرية في الإسلام اتقان آداب الحوار ودراسة فقه الاختلاف بين العلماء.

رابعاً:ضرورة تمحور الأهداف حول الوصول للحق وليس مجرد الانتصار للرأي:

إن التعامل الأمثل في القضايا الفكرية يقتضي اقناع الآخر بأن الهدف هو الوصول للحق بدون استخفاف أو استعلاء أي طرف على الآخر، وهذا ما تقتضيه الموضوعية الفكرية في الإسلام، (فالإسلام وهو الدين الحق عندما يتعامل مع سائر الملل والنحل، فإنه لا يتعامل معها من منطلق ادعائه بأنه يمتلك الصواب الكامل وأنها على الخطأ الكامل وخاصة أثناء الحوارات الدعوية)[2]، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى معلماً نبيه صلى الله عليه وسلم ما يقوله للمشركين، (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون)[3]

وهنا نلاحظ قمة التواضع والإنصاف في الحوار وذلك عندما ينسب الإجرام إلى المسلمين وينسب العمل إلى غير المسلمين في قوله: (لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون)، وفي ذات السياق قوله تعالى على لسان موسى وهارون عليهما السلام (قد جئناك بآية من ربك والسلام

١سورة التوبة: آية ٤٦

٢التفكير الموضوعي في الإسلام د/فؤاد البنا ص٧٧ مرجع سابق،

٣سورة سبأ: الآيتان٢٤ ، ٢٥

على من اتبع الهدى)[1]، حيث سلما على من اتبع الهدى دون أن يبينا من هو على الهدى ومن هو على الضلال، وقوله تعالى أيضاً: (قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى)[2]

كما نجد المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي جاء بالدين الخاتم لم يقدم نفسه كبديل أو نقيض لجميع الرسالات السابقه، بل اعتبر نفسه مجرد لبنة في تاريخ الرسالات السماوية الممتدة في تاريخ البشرية منذ آدم عليه السلام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)[3]

خامساً:تشجيع الاعتراف بالخطأ والرجوع إلى الصواب:

إن من أهم ضوابط الموضوعية الفكرية أن يرجع الإنسان إلى الصواب بعد أن يدرك الخطأ ويعترف به، لأن التمادي في طريق الجهل في كثير من الأمور عاقبته وخيمه لأنه يؤدي في بعض الأحيان إلى الكبر والغرور والتهور، وقد يؤدي في أحيان أخرى إلى نكران الذات وعدم الاستفادة من ملكاتها وقدراتها، مع العلم بأن (امتلاك الحقيقة المطلقة لا تكون إلا لله، فهو وحده صاحب القدرات المطلقة، أما الإنسان فمهما

١سورة طه:آية ٤٧

٢سورة طه:آية ١٣٥

٣أخرجه البخاري في صحيحه بهذا اللفظ، كتاب المناقب باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ج٤ ص١٨٦ مرجع سابق.

أوتي من عقل وفكر وتجارب فإنه يظل نسبياً في تفكيره نظراً لمحدودية قدراته وحواسه)[1]، وبالتالي فإن الإنسان يعتريه الخطأ كما يعتريه الصواب، وكونه يعترف بالخطأ ويعود إلى الصواب فهذا خير له من التمادي في الغي والباطل، وعلى ذلك فكل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن نقد الإنسان لذاته ورجوعه إلى الصواب بعد خطأه يمثل إحدى دعائم الموضوعية الفكرية، والقرآن الكريم مليئ بالنماذج والشواهد المضيئة في ترسيخ هذا الضابط الأصيل.

فهذا هو آدم أبو البشرية وأمنا حواء عليهما السلام، حيث اعترفا بالخطأ وسارعا إلى التوبة بعد وقوعهما في المخالفة لأمر الله سبحانه وتعالى عندما أكلا من الشجرة، وفي هذا يقول سبحانه:(وياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)[2]

١التفكير الموضوعي في الإسلام د/فؤاد البنا ص٧٥ .

٢سورة الأعراف: الآيات ١٩ –٢٣

فهذا الانتصار على النفس والاعتراف بالخطأ سنة سنها كل من آدم وحواء عليهما السلام بقولهما (ربنا ظلمنا أنفسنا) فهي توبة جاءت بعد اكتشاف الخطأ الذي يأتي دائماً بعد صحوة العقل أوالقلب، وهذا أمارة على النضج العقلي والرقي الفكري.

وهذا هو سيدنا موسى-عليه السلام- يعترف بالخطأ حين قتل القبطي نصرة للإسرائيلي حيث يقول سبحانه: (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه عو الغفور الرحيم)[1]

وهذه ملكة سبأ تعلن إسلامها وتوبتها وتعترف بخطئها، حيث يقول سبحانه حاكياً على لسانها: (رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين)[2]، (فالعلم نسبي، وما يحمله الإنسان-مهما أوتي من العلم- أضعاف ما يعرفه، ولهذا أسس القرآن للمنهج العلمي في التعاطي مع الظواهر والأشخاص، بما يتطلبه ذلك من اتباع لسبيل العلم وإعمال العقل)[3]، وبالتالي فليس الخطأ أن يخطئ الإنسان، وإنما الخطأ أن يتمادى الإنسان في الخطأ مع وضوح الصواب.

إذن فنقد الذات وما ينتج عن ذلك من الاعتراف بالخطأ والرجوع إلى

١سورة القصص:الآيتان ١٥، ١٦

٢سورة النمل: آية ٤٤

٣التفكير الموضوعي في الإسلام د/فؤاد البنا ص٢٠٩ مرجع سابق .

الحق والصواب هو مقياس دقيق للوعي الفكري، وضابط أساسي من ضوابط الموضوعية الفكرية.

سادساً:الالتزام بالمعايير الموضوعية والبعد عن الازدواجية:

إن إدراك جذور أي مشكلة من المشكلات والسعي الجيد إلى حلها لا يكون إلا بالاتفاق على معايير ثابتة يتفق عليها الجميع بدون أي ازدواجية في التعامل معها.

ولا يغيب عن الأذهان أن الذين يدعون التحلي بالموضوعية كثيرون، ولكنهم يفتقدون لأدنى مقوماتها من خلال ازدواجية المعايير لديهم، الأمر الذي يؤدي إلى تدمير الأفراد وتحويل المجتمع إلى ركام من البشر ليس أمامهم إلا السقوط في الهاوية.

إن البعد عن الازدواجية في المعايير خطوة مهمة على طريق الموضوعية الفكرية، حيث يتحقق من خلال ذلك مساحات واسعة للحركة الفكرية، تجعل الإنسان يوازن فيها بين الخير والشر، بل تجعله يتطلع إلى تحقيق خير الخيرين أو دفع شر الشرين، لأن هدف الموضوعية الفكرية ليس توحيد الآراء دوماً، وإنما المطلوب هو شرح وجهات النظر من الأطراف المختلفة وفق معايير ثابتة وواضحة، للوصول إلى أقرب نقطة من الاتفاق وتضييق شقة الخلاف.

ولقد وضع الإسلام الحنيف الكثير من المعايير الموضوعية الثابتة التي لا تحابي أو تجامل فرداً على حساب الآخر، ومن ذلك قوله تعالى: (ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيئ فاتباع بالمعروف وأداء إليه

بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم)[1]، (فالدعوة الإسلامية قد انطوت على تجميع الناس تحت راية القرآن عن طريق وحدة الأسس والمبادئ والقواعد الإيمانية والأخلاقية والإنسانية، والتي تناولت فيما تناولته توطيد الأخوة العامة والمساواة التامة والتضامن الاجتماعي، وما يقوم عليه من تعاون وتعاطف وتسامح بلا تمايز أو فروق بين الناس)[2]، قال تعالى: (ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)[3]، وقال تعالى: (ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا)[4]، وقال صلى الله عليه وسلم: (ياأيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى)[5]

١سورة البقرة: آية ١٧٨ .

٢الدستور القرآني في شئون الحياة للأستاذ/محمد عزة دروزة ص٢١٠، ٢١١ بتصرف يسير، تصحيح ومراجعة/محمد فؤاد عبدالباقي ط إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه بدون تاريخ.

٣سورة الحجرات: آية ١٣

٤سورة النساء:آية ١

٥أخرجه الإمام أحمد في مسنده بهذا اللفظ بسنده عن أبي نضرة، تحقيق/شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين، إشراف د/عبدالله بن عبدالمحسن التركي باب حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ج٣٨ ص٤٧٤ مرجع سابق ، والبيهقي في شعب الإيمان بسنده عن جابر بن عبدالله، باب: ومما يجب حفظ اللسان منه الفخر ==

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير –رحمـــه الله– قـــال: (إن حيين من العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الإسلام بقليل، وكان بينهم قتـــل وجراحات حتى قتلوا العبيد والنساء فلم يأخذ بعضهم مـــن بعـــض حتـــى أسلموا، فكان أحد الحيين يتطاول على الآخر في العدد والأموال، فحلفوا أن لا يرضوا حتى يقتل بالعبد منا الحر منهم، وبالمرأة منا الرجل منهم، فنزل فيهم الحر بالحر، والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثى)[1]، قـــال تعـــالى: (ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بـــالحر والعبـــد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيئ فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم)[2]

كما وضح القرآن الكريم أن المسلم الحق لا ينبغي عليـــه إطلاقـــاً أن يخل بميزان العدل مع خصمه وعدوه فضلاً عمن ينافسه، حيـــث يقـــول سبحانه: (ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجـــرمنكم شنئآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون)[3]، وقال سبحانه: (ولا يجرمنكم شنئآن قوم أن صدوكم عـــن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعـــاونوا علـــى

==

ج٧ ص١٢٢ ، تحقيق، د/ عبدالعلي عبدالحميد حامد، مرجع سابق.

١الباب النقول في أسباب النزول، للإمام/عبدالرحمن بـــن أبـــي بكـــر جـــلال الـــدين السيوطي، ضبط وتصحيح/أحمد عبد الشافي ج١ ص٢٢ الناشر دار الكتـــب العلميـــة بيروت لبنان.

٢سورة البقرة: آية ١٧٨ .

٣سورة المائدة:آية٨

الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون)[1]

أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية وأصحابه حين صدهم المشركون عن البيت، وقد اشتد ذلك عليهم، فمر بهم أناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة، فقال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: نصد هؤلاء كما صدوا أصحابنا فأنزل الله"ولا يجرمنكم شنئان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا")[2]

كما حذر النبي صلى الله عليه وسلم من اختلال معايير العدالة في المجتمع الإسلامي، لأن ذلك سيكون إيذاناً بتخلف هذا المجتمع وضعفه وانحطاطه، ففي الحديث: (عن عائشة أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله إلا أسامة بن زيد حب رسول الله، فكلمه أسامه، فقال رسول الله: أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[3]

فالالتزام بالمعايير الموضوعية وعدم الازدواجية في التعامل معها سبيل لقوة المجتمعات وبقاء الأمم . ومن هنا فالبعد عن الازدواجية في

١سورة المائدة: آية ٢

٢لباب النقول في أسباب النزول، للإمام/السيوطي ج١ ص٧٥ مرجع سابق.

٣أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار ج٤ ص١٧٥ مرجع سابق.

المعايير من أهم ضوابط الموضوعية الفكرية في الإسلام.

سابعاً:مدح إيجابيات الخصم وعدم تجاهلها:

إن من أكبر الأخطاء التي تنافي الموضوعية الفكرية سيطرة بذور العداوات بين الناس، والتي تجعل الكثير من الناس لا يرى في الآخر إلا مساوءه وعيوبه، حيث (تضعف الموضوعية بقدر قوة العاطفة المنفلتة من رقابة العقل، ولذلك فإن الإسلام حث على مكافأة الجزاء للعمل، واحترام المعايير الموضوعية، وعلى العدل والإنصاف في التعاطي مع الآخرين، وحذر من بهت الخصوم وأوجب الإشادة بإيجابياتهم، مع تأكيد لزوم ضبط عواطف الحب والكره، وسماها أهواء لأنها تهوي بأصحابها من علياء الإنصاف إلى دنيا التعصب)[1]

فالموضوعية الفكرية تقتضي أن ينظر الشخص إلى من يحب ومن يكره بنفس المنظار، كالعدسة التي يصور بها صاحبها ما يحبه ويبغضه في نفس الوقت، بحيث تخرج الصورة كما هي على حقيقتها هنا وهناك، وهذا هو ضابط التفكير السليم.

(ومن تنظيم وضبط عواطف الكره والرفض النظر إلى الذنب لا إلى المذنب، وكف التجاوز ضد الشخص المكروه مهما كان المبرر، بحيث لا يتم تجاوز الحق أو العدل، فلا اعتداء أو ظلم أو جور أو اسفاف أو سب أو افتراء، وأن يبقى رد الفعل محكوماً بحدود الشرع)[2]

١التفكير الموضوعي في الإسلام د/فؤاد البنا ص٢٠٨ مرجع سابق .

٢النبي المربي، للأستاذ/أحمد رجب الأسمر ص١٣٢، ١٣٣ بتصرف يسير، ط دار الفرقان بعمان ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م.

هذا وقد ذكر القرآن الكريم نماذج عديدة في مدح إيجابيات المخطئين وعم تجاهلها، بل إنه ربما يذيب أخطاءهم في محيط حسناتهم، ومن ذلك أنه حث على الإنفاق على بعض المسلمين الفقراء الذين شاركوا في إشاعة خبر الإفك ضد السيدة عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنهـــا– بجهـــل أو بعدم دراية، ولم ينس كونهم ضمن المهاجرين الأوائـــل فـــي ســـبيل الله المعروفين بحسناتهم السابقة، حيث يقول سبحانه: (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في ســـبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم)[1]

ومن ذلك أيضاً، قصة حاطب بن أبي بلتعة– رضي الله عنه– عندما أرسل رسالة إلى المشركين يخبرهم فيها ببعض أمر رسول الله وأصحابه، ولما سأله الرسول صلى الله عليه وسلم عن سبب فعله ذلك، قال:يا رسول الله لا تعجل علي، إني كنت امرأً ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفســـها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكـــة يحمـــون بهـــا أهلـــيهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد صدقكم، قال عمر: يارسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال صلى الله عليه وسلم: إنه قد شـــهد بدراً وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا مـــا شئتم فقد غفرت لكم)[2]

١سورة النور: آية ٢٢

٢صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب الجاسوس ج٤ ص٥٩ مرجع سابق .

وما أروع ما علق به الإمام ابن القيم- رحمه الله- على قصة حاتم بن أبي بلتعة-رضي الله عنه- حيث قال ما ملخصه: (إن الكبيرة العظيمة مما دون الشرك قد تكفر بالحسنة الكبيرة الماحية، كما وقع الجس من حاطب مكفراً بشهوده بدراً، فإن ما اشتملت عليه هذه الحسنة العظيمة من المصلحة، وما تضمنته من محبة الله لها ورضاه بها ومباهاته للملائكة بفاعلها، أعظم مما اشتملت عليه سيئة الجس من المفسدة وما تضمنته من بغض الله لها، فغلب الأقوى على الأضعف فأزاله وأبطل مقتضاه)[1]

كما أن التاريخ الإسلامي مليئ بنماذج كثيرة لعلماء عظام، ولكن ربما كان لبعضهم زلات وهفوات من منطلق بشريتهم الضعيفة، ولكنها في مقابل حسناتهم تضيع وتزول كما ذكرنا في المثالين السابقين، (ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة وهو من الإسلام وأهله بمكان، قد تكون منه الهفوة والزلة وهو فيها معذور بل مأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يتبع فيها أو أن تهدر مكانته وإمامته في قلوب المسلمين)[2]

فالإسلام إذن يؤكد على ضرورة مدح إيجابيات المخطئين وعدم تجاهل حسناتهم، وهذا ضابط أصيل من ضوابط الموضوعية الفكرية في الإسلام.

1زاد المعاد في سيرة خير العباد، للإمام/أبي عبدالله محمد بن بكر بن أيوب بن قيم الجوزية تحقيق/يحيى مراد ج2 ص218، 219 ط مكتبة مصر بالقاهرة 2005م.

2إعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام/أبي عبدالله محمد بن بكر بن أيوب بن قيم الجوزية ج3 ص283 مرجع سابق.

ثامناً:الإنصاف والبعد عن الأهواء:

إن إعطاء كل ذي حق حقه من غير تحيز أو محاباة أو تدخل لهوى النفس أو تفرقة بين المستحقين هو الإنصاف الذي دعا إليه الإسلام، وهو أحد ضوابط الموضوعية الفكرية في الإسلام.

ولا ريب أن باب الأهواء واسع ينتظم كثيراً من ألوان الزيغ والبعد عن الموضوعية، ولذا أكد القرآن الكريم على أمرين مهمين في هذا الإطار هما:

١-الأمر بإقامة العدل وإن خالف الميول والأهواء: إذ أن الهوى عدو مبين ضد الإنصاف والعدل، وفي ذلك يقول سبحانه: (ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً)[1]، حيث (أدب الله عز وجل المؤمنين بهذا، كما قال ابن عباس: أمروا أن يقولوا الحق ولو على أنفسهم)[2]، (وقوله "قوامين" صيغة مبالغة، أي ليتكرر منكم القيام بالقسط وهو العدل في شهادتكم على أنفسكم، وهو الإقرار بما عليكم من الحقوق)[3]

١سورة النساء:آية ١٣٥

٢الجامع لأحكام القرآن، للإمام/أبي عبيد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق/ أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش ج٥ ص٤١٣ مرجع سابق.

٣فتح القدير، للإمام/محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني ج١
==

٢-ولاء المسلم ينبغي أن يكون دائماً للمنهج الإلهي: فالقرآن الكريم وضح ضرورة أن يكون الولاء من المسلم دائماً للمنهج الإلهي المنزل مهما كان مخالفاً للهوى، وأن ما ظاهره الشر في نظر البعض قد لا يكون كذلك، وما ظاهره الخير قد لا يكون كذلك أيضاً فعلم الحقيقة المطلقة عند الله تعالى وحده، قال تعالى: (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)[1]، (فالقرآن الكريم في تناوله لمضمون الموضوعية يوردها دائماً تحت عنوان "الحق"، وهو عندما يستخدم تعبيره الخاص هذا عن الموضوعية فإنه يدعو المؤمنين للإيمان بالحق كل الحق ولا شيئ غير الحق، وفي هذا السبيل يحرم القرآن كل صور الهوى والأنانية والذاتية كائنة ما كانت وفي كل المجالات)[2]، قال تعالى: (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً)[3] ، وقال سبحانه: (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)[4]، وقال سبحانه: (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن)[5]، حيث ينتج عن تفشي

==

ص٦٠٤، الناشر دار ابن كثير ودار الكلم الطيب- دمشق- بيروت ط أولى ١٤١٤هـ.

١سورة البقرة:آية ٢١٦

٢الإسلام والعقلانية، للأستاذ/جمال البنا ص٨٤ ط دار الفكر الإسلامي بالقاهرة ٢٠٠٣م.

٣سورة الإسراء: آية ٨١ .

٤سورة الكهف: آية ٢٩ .

٥سورة المؤمنون: آية ٧١ .

هذه الأهواء ضعف المجتمعات وفي ظل هذه المجتمعات المريضة تكثر الأفعال غير المشروعة، وتختفي في الظل حقائق وإنجازات رائعة، فتفسد المجتمعات بغياب الإنجازات.

تاسعاً:عدم الخلط بين نصوص الوحي المعصوم واجتهادات البشر المظنونة:

ما دمنا نتحدث عن الموضوعية الفكرية في ضوء الإسلام، فلا بد من التأكيد على ضرورة التمسك بنصوص الإسلام وعدم الخروج عنها تحت أى مسمى، غير أن من أكبر الأخطاء التي تنافي الموضوعية الفكرية هو الخلط بين نصوص الوحي المعصوم وبين اجتهادات المجتهدين من المسلمين، والتي يجري عليها الخطأ والصواب، بسبب ما يعتري الإنسان من الضعف والنسيان، (فالخلط بين نصوص الوحي المعصومة وفهوم البشر المظنونة تنقل العصمة من النص المنزل من الخالق سبحانه إلى الإنتاج الفكري للشخص المخلوق، وبذلك يلغى النقد والمراجعة، حيث يصبح الحديث عن خطأ الشخص أو انحرافه أو مغالاته اتهاماً للدين والشريعة، فالذي يتكلم عن الشخص ويخطئه يتكلم عن الشريعة ويخطئها، وهكذا تمر هذه السلسلة من الفهوم المغلوطة والملتبسة)[1]

فالخلط بين النص الإلهي المعصوم وبين الاجتهاد البشري المظنون، أو بين الشخص والمنهج، قضية قديمة كانت وما زالت تعاني منها البشرية، ولذا خاض الإسلام معركة فكرية واسعة من أجل سيادة المنهج وتقديمه على الشخص، في تأكيد واضح على عدم الخلط بين النصوص

١التفكير الموضوعي في الإسلام د/ فؤاد البنا ص٢٢ مرجع سابق .

الشرعية المعصومة وبين الاجتهادات البشرية المظنونة، باعتبار ذلك من أهم ضوابط الموضوعية الفكرية في الإسلام.

ويتضح هذا المبدأ الإسلامي فيما يلي:

١-أكد الإسلام على المساواة بين البشر من منطلق أصل الخلقة، وأن المعيار الذي يتفاضل على أساسه الناس هو التقوى والإيمان بالله سبحانه، قال تعالى: (ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عندالله أتقاكم)[١]

٢-التأكيد على سيادة الحقيقة، حتى تستقر في الأذهان أن المنهج فوق كل اعتبار، وأن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه غير مستثنى من ذلــك، فقد عاتب القرآن الكريم النبي صلى الله عليه وسلم على بعض اجتهاداته، كإعراضه عن ابن أم مكتوم، حيث قال سبحانه: (عبس وتولى أن جــاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى)[٢]، وكــذا قبولــه الأسرى يوم بدر، حيث قال سبحانه: (ما كان لنبي أن يكون لــه أســرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم)[٣]

ولذا فقه هذا المبدأ الصديق أبو بكر – رضي الله عنه – عنــد وفــاة النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: (ألا من كان يعبد محمداً صــلى الله

١سورة الحجرات: آية ١٣

٢سور عبس:الآيات من ١-٤ .

٣سورة الأنفال: آية ٦٧ .

عليه وسلم فإن محمد قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)[1]

إذن فالتمسك بنصوص الإسلام الحنيف وعدم الخلط بينها وبين الاجتهادات البشرية من أهم ضوابط الموضوعية الفكرية في الإسلام.

وبعد، فحسبنا هنا إشارة سريعة إلى أهم ضوابط الموضوعية الفكرية في الإسلام ذكرناها على سبيل المثال وليس الحصر.

وأنتقل بعد ذلك إلى المطلب الثاني عن أبرز معوقات الموضوعية الفكرية، فأقول وبالله التوفيق..

١صحيح البخاري، كتاب المناقب باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا ج٥ ص٦ مرجع سابق.

المطلب الثاني: أبرز معوقات الموضوعية الفكرية

إن أزمة الفكر الإسلامي تتمثل في أغلب الأحيان في الخلل في فهم الواقع والتعامل معه وفي محاولة جادة لتلمس مظاهر الخلل في مجتمعاتنا سنلقي الضوء سريعاً على أبرز معوقات الموضوعية الفكرية وذلك فيما يلي:

أولاً:الجهل وعدم العلم:

من المعلوم أن طلب العلم من الأمور الضرورية التي حث عليها الإسلام الحنيف، ولذلك حض الشرع الحنيف على طلب العلم وسؤال العلماء واستفتاء الفقهاء، قال تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)[1]، كما فضل الله تعالى العلماء على غيرهم من الناس، حيث قال سبحانه: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب)[2]، وقال سبحانه أيضاً: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)[3]، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)[4]

وإن من الموضوعية بمكان أن يعرف الفضل لأهله، وأن يعترف

١سورة النحل:آية ٤٣

٢سورة الزمر: آية ٩

٣سورة المجادلة: آية ١١

٤أخرجه البخاري في صحيحه بهذا اللفظ بسنده عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن عن معاوية، كتاب العلم باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ج١ ص٢٧ مرجع سابق.

بالعرفان لكل من أنجز أو ساهم في اكتساب حقيقة من الحقائق سواء أكانت علمية أو اجتماعية أو اقتصادية أو غيرها، ولا شك أنه لولا تقسيم الأعمال والاعتراف بالتخصصات لما أمكن أن نرى التقدم العلمي الذي أنجزته البشرية اليوم على هذه الصورة البديعة.

ومن هنا فاستقصاء المعلومات من مصادرها والاحتكام إلى أهل العلم والاختصاص من أهم مظاهر الموضوعية لأنها تمثل صلاحية الوعي الموضوعي بقضية ما

والعكس صحيح، فالجهل وعدم العلم معوق خطير أمام الموضوعية الفكرية، لأن (انتشار الأمية على نطاق واسع يجعل الناس متشابهين إلى حد بعيد، فالجهل كالموت في إضفاء صفة التوحد، فلا بد في كل الأحوال أن يبرز دور أصحاب الملكات الذهنية الرفيعة)[1]

فضعف البصيرة وقلة العلم والفهم للدين الإسلامي ولاسيما من غير الاختصاص، وعدم التعمق في فهم أسرار الشريعة ومقاصدها، وعدم الإلمام بأسرار اللغة ومراميها يعتبر من أبرز معوقات الموضوعية الفكرية، ولذا ذم الله الجهل وأهله في عدة آيات قرآنية، ومن ذلك قوله تعالى: (قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون)[2]، وقال تعالى عن نوح عليه السلام: (وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون)[3]، وقال تعالى: (ولو أننا نزلنا إليهم

١من أجل الدين والأمة، د/عبدالكريم بكار ص٣٨ مرجع سابق.

٢سورة الأعراف:آية ١٣٨

٣سورة هود: آية ٢٩

الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيئ قبلاً ما كانوا ليؤمنـــوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون)[1]

وإن من الجهل بمكان قضية التعميم في كل الأمور، كمـــن يلصـــق ظاهرة الإرهاب مثلاً بجميع المسلمين بمجرد انحـــراف مســـلم واحـــد أو مجموعة من الأشخاص نحو هذا الاتجاه أو معاداة حزب معين بأكملـــه أو جماعة بعينها بسبب ابتعاد فرد أو مجموعة منها عن الجادة والصواب.

إذن فالجهل عامة وبالدين الإسلامي خاصة له أثره الســـيئ كمعـــوق رئيس للموضوعية الفكرية.

<u>ثانياً:التقليد الأعمى:</u>

لا شك أن العقل هو الجوهرة الربانية التي أودعها الله فـــي الإنســـان والتي تقوم بالعملية الإبداعية والفكرية، ولا يمكن لهذا العقل أن يعمل إلا بالتحرر من قيود التقليد الأعمى الذي يعمي الفكـــر ويطمـــس البصـــيرة، (فالتقليد الأعمى هو العدو اللدود للإبداع والابتكار فالإمعي قد عطل عقله وأهمل تفكيره، فلم يعد يفكر أو يؤمن أو يمارس إلا ما وردته من السالفين أو ما شاهد عليه اللاحقين، ولم يقف لحظة متأملاً في صـــواب فعلـــه أو سداد تفكيره ومنهجه)[2]

والإسلام الحنيف في تأكيده على ضرورة التفكير الموضوعي الـــذي ينتج عنه الإبداع والابتكار في شتى مناحي الحياة قد حارب هـــذا التقليـــد الأعمى، نجد ذلك واضحاً من خلال استهجان القرآن الكريم لموقف قريش

١سورة الأنعام: آية ١١١

٢شرارة الإبداع، د/علي الحمادي ص٦١ ط دار ابن حزم ط أولى ١٤١٩هـــ١٩٩٩م.

واحتجاجهم بتقليدهم للآباء والأجداد في رفض دعوة الإسلام الحنيف، حيث يقول سبحانه: (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون)[١]، (فمع تحرير العقل من أغلال التقليد والتشوق إلى معرفة الجديد نستطيع الحصول على الكثير والمفيد)[٢]

إن القرآن الكريم يرسم في ذهن قارئه ملكة التفكير والتأمل، لأن (من أهم سمات القرآن الكريم أنه كتاب يخاطب العقل ويعلي من شأنه، ويستثير صاحبه إلى استخدامه كأداة عظيمة للتفكر، ومن ثم الوصول إلى الحقائق التي يقوم على أساسها الوجود)[٣]، قال تعالى: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار)[٤].

ثالثاً:التعصب للرأي والتحيز الانفعالي:

من المعلوم أن الفكر هو الموجه الأول للسلوك، وعلى قدر قناعة العقل بالشيئ تكون قدرته على التأثير والإبداع، ولكن قد تؤثر ميول

١سورة الزخرف: الآيات من ٢٠-٢٣

٢من أجل الدين والأمة، د/عبدالكريم بكار ص٣٧ مرجع سابق.

٣كيف نغير ما بأنفسنا، للأستاذ/مجدي الهلالي ص٥٤ الناشر مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ط أولى ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

٤سورة آل عمران: الآيتان ١٩٠، ١٩١ .

الإنسان ودوافعه وانفعالاته في تفكيره الموضوعي وتجعله يقع في أخطاء التحيز والتعصب للرأي، لذلك كان من الضروري لكي يهتدي الإنسان إلى الحقيقة أن يتحرر من تأثير ميوله وانفعالاته وتعصباته التي تكبل تفكيره، وتعوقه عن الوصول إلى الحقيقة وتمنع المجتمع من التقدم والرخاء، (إن التعدد القائم في ساحة العمل الإسلامي ينبغي أن يكون تعدد تنوع وتخصص، وأن عمل فصيل منه في مجال من المجالات لا يلغي عمل الفصائل في بقية المجالات، بل ينبغي أن تعمل كل هذه الفصائل في تعاضد وتكامل، وأن تتبادل فيما بينها التسديد والتناصح، لأن الله تعالى قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فهذا فتح عليه في الجهاد، وهذا فتح عليه في مجال التربية، وهذا في مجال العمل السياسي وهكذا، ويجب أن يقتنع كل بما قسم الله له، وأن يثني على الآخر بخير ما يعلم حتى يكونوا أهلاً لنصر الله وتوفيقه)[1]، فالمتعصب يمنع كل هذا التضامن الإسلامي، بل يمنع أيضاً كل عمل خير في أي مجال من المجالات.

ولذا نهى القرآن الكريم عن الوقوع تحت تأثير الأهواء والميول التي تؤدي إلى التحيز وتسبب أخطاء التفكير، حيث يقول سبحانه: (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا)[2]، (فالمتعصب يحب الجدال بالباطل الذي يقوم على أسس غير موضوعية وغير عقلانية فهو إنسان عجول يصدر الأحكام على الناس من غير فحص للأدلة والبراهين مما يجعل تفكيره غير منطقي، حيث تنطمس الأسباب عند الحديث عن المشكلات، ويختل

١الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر، د/صلاح الصاوي ص٢٦٣ ط مطابع أضواء المنتدى الإسلامي بدون تاريخ.

٢سورة النساء:آية ١٣٥

الربط بين المقدمات والنتائج، مما يجعل صاحبه في الغالب محروماً من التوازن العقلي والانفعالي الذي يتمتع به الأسوياء)[1]، ومن هنا فالتعصب للرأي والتحيز الانفعالي من معوقات الموضوعية الفكرية.

رابعاً:الاستبداد وعدم الحرية:

من المعلوم أن من أهم محفزات الموضوعية الفكرية الشعور بالحرية، تلك الحرية التي تنتج الإرادة والقدرة والعلم والعمل، ولذا كان من أهم المعوقات التي تعرقل الحس الموضوعي هو القهر والاستبداد، (ولا نقصد هنا الاستبداد السياسي والإداري فقط- وإن كان هو محور الاستبداد- وإنما الاستبداد الذي نقصده هو كل أشكال الاستبداد الحزبي والأسري والطائفي والعنصري، ذلك أن النقد الذي هو أساس الحراك الفكري لا يؤسس ولا ينمو إلا في مناخ الحرية ولا يتشكل ويخرج إلا من رحمها، فالاستبداد أياً كان لونه يشل العقل ويخرس اللسان، ويقدم أهل الولاء والثقة على أهل المعرفة والخبرة، ويحول الناس إلى مسخ مكررة عن الزعيم أو الرئيس أو شيخ القبيلة، فتتعطل سنن ووسائل التكوين للشخصية السوية والاكتشافات للخبرات، فتتحول الأمة إلى مجموعة أفراد تمشي في القطيع بدون تفكير، أو مجموعة أجساد بلا رءوس تفكر كلها برأس الزعيم، وفي هذا المناخ الاستبدادي لا يولد إلا الأقزام الذين يصبحون أرقاماً في خانة الزعيم)[2]، وربما يؤدي هذا الاستبداد إلى منحى آخر أشد خطراً وأعمق أثراً، حيث يتولد عن هذا الاستبداد الرغبة في

١من أجل الدين والأمة، د/عبدالكريم بكار ص١٣٦-١٣٨ باختصار، مرجع سابق،

٢التفكير الموضوعي في الإسلام د/فؤاد البنا ص٢٠، ٢١ بتصرف يسير مرجع سابق.

الانتقام والفتك بالآخرين، (فاستخدام العنف للهيمنة على الناس وأخذ مقدراتهم وثرواتهم عن طريق المذابح والحروب وسياسة التجويع، يتولد عن كل ذلك عدم الاستقرار النفسي والاجتماعي، مما يؤدي إلى الرغبة في العدوان وحب الانتقام)[1]

إذن فالعقبة الأساسية في غياب الموضوعية الفكرية هي الاستبداد وإشاعة مناخ القهر والخوف والرعب، الذي ينتج إما بيئة نفسية وفكرية ذات نمط واحد يتمشى دائماً مع فكر ورغبة وإرادة المستبد، وإما الانحراف إلى العدوان والرغبة في الانتقام من الآخرين، وكلا الاتجاهين فيهما هلاك العباد والبلاد.

خامساً:انحراف وسائل الإعلام عن دورها الحقيقي:

لا شك أن لوسائل الإعلام دورها وشأنها الخطير- لاسيما في العصر الحديث- بعد تطور هذه الوسائل وتنوعها من صحافة وإذاعة وقنوات فضائية، والتي أصبح لها القدرة الكبيرة على توجيه الرأي العام، (فالمؤسسات الإعلامية بأنواعها هي نسيج متكامل من العلاقات الاجتماعية للناشئة، ولذا كان لها أثرها الفعال في سلوك الأفراد وتوجهاتهم في المستقبل، ناهيك عن أننا نستطيع أن نكتشف من خلالها عوارض التطرف والانحراف مبكراً لدى الأطفال والشباب مما يهيئ الفرصة المبكرة

١السبق التربوي مفهومه ومنهجه ومعالمه في ضوء المنهج الإسلامي، للمؤلف/خالد محمد الحازمي ص٨٠ الناشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة السادسة والثلاثون ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

لعلاجها قبل استفحالها)[1]

ولكن المتأمل في الواقع المعاصر يجد للأسف الشديد أن الكثير من وسائل الإعلام قد انحرفت عن دورها الحقيقي الذي ينبغي أن يتمثل في نشر القيم والمبادئ الأخلاقية إلى عكس ذلك تماماً، حيث تلعب دوراً خطيراً في قلب الحقائق وتحريف الحق عن مواضعه، فبثت الجهل والضلال، وغيبت الموضوعية عن دنيا الناس، وألبثت الباطل ثوب الحق، فأصبح هذا الانحراف من وسائل الإعلام عن رسالتها الصحيحة من أبرز معوقات الموضوعية الفكرية.

سادساً: غلبة جوانب الحقد والكراهية على النقد البناء:

لعل من أهم المشكلات والعقبات أمام الموضوعية الفكرية وجود النفسية المريضة التي تسقط عن الآخر فضائله وتتعامى عن إيجابياته بدافع الحقد والحسد والكراهية، وهذا مكمن خطر كبير على الأفراد والمجتمعات، فعندما تتغلب جوانب الحقد والكراهية على النقد البناء يصبح الانتصار للباطل شعاراً وهدفاً بدافع من هذه النفسية المريضة، تلك النفسية التي (تتحول من التصويب وبيان الخلل إلى المهاترات وإثارة العداوات والخصومات والأحقاد، فتوقع في الإثم وتنمي الحقد والكيد الشخصي الذي يتدخل فيه حسد النعمة والبهتان والزور، والاقتصار على النقائص والسلبيات دون ذكر أية فضيلة في الآخر وعندها يختلط الحابل

١وقت الفراغ وأثره في انحراف الشباب، للأستاذ/عبدالله بن ناصر السدحان ص٧١، ٧٢ بتصرف يسير، الناشر مكتبة العبيكان ط أولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

بالنابل)[1]

وعلى ذلك فمن العسير أن نكون موضوعيين إلا إذا غلبت المحبة والألفة على الأثرة والأنانية وحب الذات، وتلاشت جوانب الحقد والكراهية، وساعتها تنشط حركة الموضوعية الفكرية التي ترى الأمور على ما هي عليه وتتعامل معها على حقيقتها.

سابعاً:الضعف والتخلف الذي لحق بالمسلمين:

لا شك أن الضعف الذي لحق بالمسلمين في كل العصور- لاسيما في الواقع المعاصر- كان بسبب بعدهم عن دينهم الحنيف، وغالباً ما ينتج عن هذا الضعف ظهور الكثير من الانحرافات النفسية والسلوكية والاجتماعية وغيرها مع عدم القدرة على مقاومتها، كمثل الجسد المريض الذي تضعف مناعته فيصبح فريسة وعرضة للبكتيريا والفيروسات.

يقول فضيلة الشيخ/ محمد الغزالي –رحمه الله- :

(إن الأمم للأسف لا تطيق البقاء على أسباب المجد والعظمة أزمنة متواصلة، فسرعان ما تتسلل إليها جراثيم الوهن وتدب في كيانها علل التخلف، لكن العناية العليا لا تدع الشعلة المضيئة تسقط على الأرض ويعم الظلام، فإن أمماً أخرى تهيؤها ظروفها للبروز إلى الميدان والعمل مكان الذين انسحبوا، ولا تزال تعمل في جد حتى يصيبها بدورها ما أصاب غيرها، فيعيد التاريخ نفسه، وبهذا السياق في ميادين الحياة تصلح

١التفكير الموضوعي في الإسلام د/فؤاد البنا ص٢٤ بتصرف يسير، مرجع سابق .

الحياة)[1]

فالعالم الإسلامي في العصر الحاضر يعيش حالة من الانهزامية الواضحة التي صدرت كافة صور الضعف بين أبنائه سياسياً وعلمياً واقتصادياً وصناعياً وعسكرياً وغيرها، وبالتالي فإنه ينشأ عن هذا الضعف والتخلف ذوبان المسلم أمام تيارات الغزو الفكري الغربي، مما ينتج عنه في أغلب الأحيان أن يرى المنكر معروفاً والمعروف منكراً تحت مسميات الحرية الشخصية وتحرير المرأة والمرأة العصرية وغيرها من الشعارات الخداعة التي يرددها من انخدعوا بثقافات أهل الغرب وأذياله ، وينسحب الأمر كذلك على الفكر بالتبعية فيصير جامداً وكارهاً لأي تلاقي مع الآخر من منطلق الموضوعية الفكرية.

ثامناً:سيطرة الخرافة وتقديس الأشخاص:

من الأمور المتواترة لدى أصحاب الفكر الرشيد أننا نعرف الرجال بالحق ولا نعرف الحق بالرجال؛ لأن (ادعاء العصمة لبعض العلماء أو الصالحين- غير الأنبياء والرسل- والارتقاء بهم فوق النقد وإقامتهم كأنصاب وأزلام لا يجوز أن تمس، والتخويف والتأثيم من مجرد الاقتراب منهم، بل والارتقاء بهم إلى ما فوق مقام النبوة هو سبب التخلف وانطفاء روح الأمة وتعطيل تفكيرها)[2]

ويزداد الأمر خطورة عندما يوصف هؤلاء الأشخاص بأنهم يمثلون

١حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، ص٤، ٥ ط دار الكتب الحديثة ط ثانية ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

٢التفكير الموضوعي في الإسلام د/فؤاد البنا ص٢٧ مرجع سابق .

إرادة الله ويتحدثون باسمه- كما يدعي الأحبار والرهبان من أهل الكتاب-، كما قال سبحانه: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)[1]

فتقديس الأشخاص وما ينتج عن ذلك من سيطرة الخرافات يؤدي بالتأكيد إلى إلغاء العقول وتكريس الأخطاء وقتل روح التفكير والإبداع.

وبعد فحسبنا هنا إشارة إلى أهم معوقات الموضوعية الفكرية ذكرناها على سبيل المثال وليس الحصر، وننتقل بعد ذلك بمشيئة الله تعالى إلى المبحث التالي عن أهم آثار الموضوعية الفكرية.

فنقول وبالله التوفيق..

---

[1] سورة التوبة: آية ٣١

المبحث الرابع

آثار الموضوعية الفكرية على الفرد والمجتمع

لا شك أن الموضوعية الفكرية بضوابطها التي ذكرناها آنفاً تشكل ركيزة مهمة وأساسية في بناء الأمة وتماسكها، بالإضافة إلى كونها دواءً وقائياً يغني الأمة عن الشقاق والاحتراب بين أبنائها.

وفيما يلي أهم آثار ونتائج الموضوعية الفكرية على الفرد والمجتمع:-

١-معرفة الحق والتمسك به:

إن من أهم أهداف الموضوعية الفكرية الوصول للحق بعد معرفته والتمسك به، لأن من ضوابط الموضوعية الفكرية الأصيلة التي ذكرناها آنفاً الثبات على المعايير واحترامها، وعدم الدوران في فلك الملذات والمنافع الذاتية والأهواء الشخصية.

والحق هو: (الثابت حقيقة الذي لا يجوز ولا يسوغ إنكاره)[١]

فالموضوعية الفكرية في الإسلام تنقل الإنسان من الحدود الضيقة الظالمة المتمثلة في التعصب للجنس أو اللون أو القبيلة إلى الحدود الواسعة العادلة المتمثلة في الإنسانية الواحدة التي ترجع إلى أصل واحد وهو آدم عليه السلام، قال تعالى: (ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً)[٢]، وقال صلى الله عليه

١التعريفات للإمام الجرجاني باب الحاء ص٨٩ مرجع سابق.

٢سورة النساء: آية ١

وسلم: (يأأيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى)[1]

وهذه كلها حقائق يمكن الوصول إليها ومعرفتها عن طريق الموضوعية الفكرية في الإسلام، وهذا من أهم آثارها.

٢-تحقيق العدالة والأمن المجتمعي:

لا شك أن الميل بعيداً عن الموضوعية الفكرية يؤدي إلى انتهاكات متنوعة ضد الإنسان وكرامته من منطلق ازدواجية المعايير، فتصبح أكثر الأمور متشابكة ومعقدة تختلط فيها الأفكار بالمواقف.

والإسلام الحنيف في تأصيله للموضوعية الفكرية يؤكد على معايير ثابتة للعدالة والأمن المجتمعي، حيث نطقت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لتحقيق هذه العدالة، قال تعالى: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان)[2]، وقال تعالى: (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)[3]، كما امتثل النبي صلى الله عليه وسلم بإقامة العدل في حياته كلها، وأوضح مثال على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (إنما أهلك الذين

١أخرجه الإمام أحمد في مسنده بهذا اللفظ بسنده عن أبي نضرة، تحقيق/شعيب الأرنؤوط وآخرين، إشراف د/عبدالله بن عبدالمحسن التركي، باب :حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ج٣٨ ص٤٧٤ مرجع سابق. والبيهقي في شعب الإيمان بسنده عن جابر بن عبدالله باب:ومما يجب حفظ اللسان منه الفخر ج٧ ص١٢٢، تحقيق د/عبدالعلي عبد الحميد حامد، مرجع سابق.

٢سورة النحل:آية ٩٠

٣سورة النساء:آية ٥٨

قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[1]

وعندما احتد أبو ذر الغفاري على بلال -رضي الله عنهما- وقال له يا ابن السوداء، غضب النبي صلى الله عليه وسلم أشد الغضب وقال له: يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم)[2]

(فالشريعة الإسلامية قد أمرت الإنسان بأداء حقوق نفسه وجسده في جانب، وأمرته في الجانب الآخر ألا يؤدي هذه الحقوق على نحو يمس بحقوق غيره من عباد الله في الدنيا ولذلك نراها تحدد له التزاماته تجاه الآخرين)[3]

إذن فتحقيق العدالة بين الجميع من منطلق معايير ثابتة هي من آثار الموضوعية الفكرية في الإسلام.

١أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة رضي الله عنها، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار ج٤ ص١٧٥ مرجع سابق.

٢أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي ذر الغفاري، كتاب الإيمان باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك ج١ ص١٥ مرجع سابق.

٣النظرية الاجتماعية في الفكر الإسلامي أصولها وبناؤها من القرآن والسنة، د/زينب رضوان ص٢٠٠ من سلسلة علم الاجتماع المعاصر الكتاب الخمسون ط دار المعارف ط أولى ١٩٨٢م.

٣-تقرير حرية الإنسان وإرادته:

إن الله تبارك وتعالى كما اختص الإنسان بالعقل الذي يميز بـــه بـــين الحق والباطل وبين الحسن والقبيح، فقد ميزه أيضاً عن سائر المخلوقات بحرية الاختيار والإرادة، قال تعالى: (وقل الحق من ربكــم فمــن شــاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)[١]، وقال أيضاً سبحانه: (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)[٢]

(فالإنسان في سعيه في دروب الحياة يختلف ويتباين عن سائر الخلق، لأن الله تعالى قد منحه قدراً زائداً عن سائر الخلق يتمثل في العقل والإرادة والاختيار في سعيه)[٣]

وحرية الاختيار لا بد أن تستتبعها الإرادة، فالاختيــار هــو مجــرد تفضيل أحد الأمرين على الآخر، وقد يظل الاختيار مجرد رأي أو رغبة دون أن ينتقل إلى دائرة التنفيذ في الواقع ولذلك كان من الضـــروري أن يكون الإنسان أيضاً ذا إرادة حرة في تنفيذ الاختيار المفضل، وهــذا مــا تحققه الموضوعية الفكرية في الإسلام.

١سورة الكهف:آية ٢٩

٢سورة الشمس: الآيات من ٧-١٠

٣السلوك الإنساني بين الجبرية والإراة ومنظور علم النفس المعاصر"المشيئة والاختيار" د/عبدالمجيد سيد أحمد منصور، د/زكريا أحمــد الشــربيني ص٢٣٦ ط دار الفكــر العربي ط أولى ١٤٢١هـــ ٢٠٠١م.

٤-حماية المجتمع من الانحراف والتطرف:

من المعلوم أن الإلحاد والكفر بالله تعالى يجعل الإنسان بلا رابطة روحية تحفظه من المهالك، كما تجعله أيضاً يعيش دائماً في جو الأثرة والأنانية وحب الذات فيصبح كالحيوان النهم الذي لا يطلب إلا إرواء لذة الجسد وتحقيق الرغبات المادية.

(ومما لا شك فيه أن هذه الأفكار المتطرفة أشد فتكاً من السموم وأشد انتشاراً من الهواء تتخلل كل خلية ، وتنخر في كل بناء فكري أو أخلاقي، أفكار ترتدي أثواباً أو تحمل شعارات أو ترفع مشاعل، ليس الثوب فيها أو الشعار أو المشعل إلا قناعاً يستر الزيف الخطر)[١]

أما المنهج الإسلامي الذي يعلي شعار الموضوعية الفكرية بمظاهرها وضوابطها التي ذكرناها آنفاً فإنه يحمي الإنسان والمجتمع من الانحراف والتطرف، (حيث يتضمن المنهج الإسلامي من الضوابط والمبادئ والمعايير ما يحقق أقصى درجات السمو والتقدم الروحي والنفسي والمادي، ويحول دون الانحراف سواء بالإفراط أو التفريط على عكس الأيدلوجيات الوضعية، فعلى الرغم من الشعارات البراقة التي ترفعها هذه الأيدلوجيات فإنها تفشل في تحقيق شعارها وأهدافها نتيجة العجز في البناء الفكري والمعياري، ونتيجة لأنها تنبع عن مصالح فئوية محددة ونتيجة لفساد أنصارها)[٢]

١الغزو الفكري في التصور الإسلامي د/أحمد عبدالرحيم السايح ص٥٥ هدية مجلة الأزهر عدد جمادى الأولى ١٤١٤هـ .

٢من بحث بعنوان "رؤية منهجية في علم الاجتماع الإسلامي"د/نبيل السمالوطي ==

فالموضوعية الفكرية في الإسلام بما تضمنته من أســس وضــوابط تحمي المجتمع من الانزلاق نحو العنف والتدمير والخراب.

٥-انتشار رسالة الإسلام الحنيف:

إن المتأمل في رسالة الإسلام يجد أنها تخاطب العقــل بموضــوعية كاملة، وذلك على عكس النظم الوضعية ذات النظرة المحدودة والضــيقة والقائمة على الأهواء والشهوات وازدواجية المعايير، والتاريخ خير شاهد على المعايشة السلمية بين البشر في ظل الإسلام، (فقــد كــان الإســلام يستطيع إبادة الجماعات القليلة التي رفضت أن تدين به، ولو فعــل هــذا لكان متمشياً مع منطق المعاملة بالمثل، ولكن الإسلام أبــى عــن ترفــع ونزاهة وبقيت ملل شتى في أرضه شاهد صدق على طبيعته)[١]

ولذا فإن من ينظر إلى الأمور من منطلق الموضوعية الفكرية التــي أرساها الإسلام الحنيف سيجد نفسه منجذباً بلا شك لهذا الدين الإســلامي الحنيف الذي يصون الحياة الاجتماعية وكرامة الإنســان، لأن (التعــاليم الإسلامية تأتي دائماً لحكمة وأسباب لا لمجرد رغبة في التســلط مــن الله على خلقه، وإنما هي محبة ورحمة وتنبيه إلى فائدة، فعندما يحــرم الله الفواحش مثلاً فإنما يقصد من ذلك حمايتهم من الضياع وفقــدان الحيــاة، ولهذا نقرأ في الإحصاءات أن أعلى نسبة للجنون والانتحار تحــدث فــي

==

ص٤٤٤، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد الرابع رجب ١٤١١هــ فبراير ١٩٩١م.

١حقوق الإسلام بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، للشيخ/محمد الغزالي ص٥١ مرجع سابق.

السويد وروسيا برغم السعادة الجنسية وعدم الكبت والتحلل غاية التحلل، والسبب في ذلك هو الانفصام الذي يحدث للإنسان المتحلل في أعماق روحه فيفقده السلام الداخلي إلى الأبد)[1]

ومن ثم يمكن القول بأن بين الموضوعية الفكرية وبين انتشار رسالة الإسلام الحنيف ارتباطاً وثيقاً، فكلما ازدادت ثقافة الموضوعية الفكرية انتشرت رسالة الإسلام بلا شك لأن (الإسلام يمتاز عن غيره من الأيان الأخرى بأن النفس متى ارتضته وآمنت بروحه واطمأنت إلى تعاليمه لا تحيد عنه ولا ترتضي غيره بديلاً، ذلك لأنه أقرب إلى طبيعة النفس البشرية، ولذلك فإننا لم نجد مسلماً خرج عن إسلامه إلى غير الإسلام إلا في حالات نادرة لا يكاد يحسب لها حساب، في حين نرى كل يوم عشرات من أبناء الديانات الأخرى يدخلون في الإسلام راضين متحمسين)[2]

ولقد أثبت التاريخ أنه في المرحلة التي يسود فيها فساد ديني نجد انحطاطاً فكرياً مماثلاً، ولذا من الله تعالى على المؤمنين ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم ليخرجهم من ظلمات الانحطاط الفكري والعقدي إلى نور الهدى والهداية، قال تعالى: (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن

١القرآن محاولة لفهم عصري د/مصطفى محمود ص١١٢ ط دار المعارف ط رابعة بدون تاريخ.

٢اسلام بلا مذاهب د/مصطفى الشكعة ص٣٩، ٤٠ بتصرف يسير ط الدار المصرية اللبنانية بدون تاريخ.

كانوا من قبل لفي ضلال مبين)[1]

وبعد فهذه إشارة سريعة لأبرز آثار الموضوعية الفكرية في الإســـلام على الفرد والمجتمع ذكرتها على سبيل المثال وليس الحصـــر فـــي هـــذا المبحث الأخير.

وهكذا فقد اجتهدت على قدر استطاعتي في هذا البحث الذي جاء تحت عنوان: (الموضوعية الفكرية في ضوء الإسلام أبعادها ودلالاتهـــا)، ولا أدعي في هذا البحث الكمال أبداً، لأن الكمال لله تعالى وحده، وإنما هي لبنة في الطريق الصحيح الذي ينبغي أن تسلكه الأمة في سيرها إلى الخير والصلاح والبناء، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

١سورة آل عمران:آية ١٦٤ .

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم،

فبعد هذا البحث المختصر عن (الموضوعية الفكرية في ضوء الإسلام أبعادها ودلالاتها) فإنني ألخص أهم نتائجه وتوصياته في الآتي:

أولاً:أهم النتائج:

١-لا شك أن سلوك الإنسان جزء مهم من مكونات فكره وعقله، وما السلوك السوي تجاه القضايا والمشكلات إلا نتاج ودليل واضح على الفكر الموضوعي الصحيح عند صاحبه.

٢-إن مصطلح الموضوعية الفكرية يعتبر من المصطلحات الحديثة التي طرأت على الساحة الفكرية المعاصرة، حيث لم يذكر لها تعريف في عرف العلماء القدامى، وإن كان العمل بها جارياً في عرف العلماء على مر العصور، لأنها تعتبر من أبرز مقومات شخصية العالم الباحث عن الحقيقة بعيداً عن الأهواء والرغبات.

٣-إن مضمون الموضوعية الفكرية تعني عدم تأثر الباحث في نظرته للأمور أو الحكم على الأشياء بأي مؤثرات أو عوامل نفسية أو اجتماعية أو غيرها تعيقه عن الوصول إلى الحقيقة والصواب في أي مسألة من المسائل أو قضية من القضايا.

٤-إن الله تعالى قد خلق الإنسان وكرمه وميزه بالعقل الذي به يفكر، ومن خلاله منحه حرية الاختيار، قال تعالى: (إنا هديناه السبيلا إما شاكراً

وإما كفوراً)[1]، ولذا حث الإسلام المسلم أن يكون إنساناً مفكـراً ليكـون إيمانه نابعاً من الاقتناع واليقين عن طريق الأدلة والبراهين، قال تعالى: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهـار لآيـات لأولـي الألباب)[2]

٥-إن الموضوعية الفكرية لها أسس وضوابط، ومن أهمها احتـرام الرأي الآخر وعدم إقصائه، وأن يكون محور الحـديث مرتكـزاً علـى الأفكار لا الأشخاص، وتشجيع الاعتراف بالخطأ والرجوع إلى الصواب، واحترام المعايير الموضوعية والبعد عن الازدواجية، ومـدح إيجابيـات الخصم وعدم تجاهلها، بالإضافة إلى عدم الخلط بين نصـوص الـوحي المعصوم واجتهادات البشر المظنونة.

٦-هناك معوقات للموضوعية الفكرية تحول بينها وبـين نضـوجها وممارستها، ومن أبرز تلك المعوقات: الجهل وعـدم العلـم، والتقليـد الأعمى، والتعصب للرأي، والاستبداد وعدم الحرية، وانحراف وسائل الإعلام عن دورها الحقيقي، وغلبة جوانب الحقد والكراهية علـى النقـد البناء، والضعف والتخلف الذي لحق بالمسـلمين، وسـيطرة الخرافـة وتقديس الأشخاص.

٧-إن للموضوعية الفكرية آثاراً إيجابية على الفرد والمجتمع، ومـن أهمها:معرفة الحق والتمسك به، وتحقيق العدالـة والأمـن المجتمعـي، وتقرير حرية الإنسان وإرادته، وحماية المجتمع من الانحراف والتطرف،

١سورة الإنسان:آية ٣

٢سورة آل عمران:آية ١٩٠

بالإضافة إلى انتشار الإسلام ورسالته السمحة.

٨-إن النقطة الأساسية في الموضوعية الفكرية هي اعتماد منهجية سليمة في التفكير، من خلال إفساح المجال للعقل لكي يمعن النظر في الأمور بتجرد بعيداً عن المؤثرات الخارجية أو العوامل العاطفية الذاتية.

٩-إن إلتزام المنهجية السليمة في التفكير هي قيمة عليا وهدف مقصود، بغض النظر عما يوصل إليه من نتائج صحيحة أو خاطئة، فالباحث المجتهد مأجور على أي حال، فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد.

١٠-تعتبر الموضوعية الفكرية هي السبيل الأمثل للحفاظ على المكونات الثقافية للمجتمعات الإسلامية في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة، مما يعني تحصين الهوية الإسلامية وحمايتها من الاختراق أو الاحتواء من الخارج.

ثانياً: التوصيات:

١-ينبغي إبراز أهمية فكرة الحوار مع الآخر، لأن من بدهيات الأشياء أن الفكرة لا تقاومها إلا فكرة، كما أن الشبهة لا تجابه إلا بالحجة.

٢-التأكيد على وسائل الإعلام بعد تنقيتها من أصحاب الأهواء والأكاذيب نحو مسئولية توجيه الناس نحو الفكر المستنير ومناقشة القضايا الفكرية والدينية والثقافية والسياسية التي تخاطب عقول الشباب بموضوعية ومصداقية دون تحيز لتوجه معين، مما يشكل محوراً مهماً نحو التأكيد الحقيقي للموضوعية الفكرية.

٣-ينبغي العمل على المشاركة الفعالة في وسائل الإعلام العالمية

لتقديم الصورة البيضاء والصحيحة عن تعاليم الإسلام ومبادئه، لتعريــف الناس بهذا الإسلام الحنيف بلغات هؤلاء الذين ضللهم إعلامهم المتعصب.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم- جل من أنزله-

١- إحياء علوم الـدين، للإمـام/ أبـي حامـد محمـد الغزالـي، تحقيق/محمد عبدالملك الزغبي، قدم له أ.د/عامر النجار ط دار المنار.

٢-الإسلام وقوانين الوجود، د/محمد جمال الدين الفنـدي ط الهيئـة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م.

٣-الإسلام والكون، د/عبدالغني عبود ط دار الفكر العربي ط أولـى ١٩٧٧م.

٤-إعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام/شمس الدين بـن قـيم الجوزية، تحقيق/محمد عبدالسلام إبراهيم، الناشر دار الكتـب العلميـة بيروت ط أولى ١٤١١هـ ١٩٩١م.

٥أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً، د/عبدالغني محمـد سـعد بركة، مكتبة وهبة ط أولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٦- الإسلام والعقلانية، للأستاذ/ جمال البنا ط دار الفكر الإسـلامي بالقاهرة ٢٠٠٣م.

٧-بدائع الفوائد، للإمام/ شمس الدين بن قيم الجوزيـة الناشـر دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

٨-التوثيق على مهمات التعاريف/ زين الدين محمد المـدعو بعبـد الرءوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابـدين الحـدادي المنـاوي القاهري الناشر عالم الكتب بالقاهرة ط أولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٩--التفكير الموضوعي في الإسلام، د/فؤاد البنا، من سلسلة كتاب الأمة عدد ١٣٧ جمادى الأولى ١٤٣١هـــ السـنة الثلاثـون ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.

١٠-تهذيب اللغة/محمد بن أحمد الأزهري الهروي أبـو منصـور، تحقيق/محمد عوض مرعب، الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت ط أولى ٢٠٠١م.

١١-التوحيد الخالص أو الإسلام والعقـل، د/عبـدالحليم محمـود، الناشر دار الكتب الحديثة مطبعة حسان ١٩٧٣م.

١٢- تاج العروس من جواهر القـاموس/ محمـد بـن محمـد بـن عبـدالرازق الحسـيني أبـو الفـيض الملقـب بمرتضـى الزبيـدي، تحقيق/مجموعة من المحققين الناشر دار الهداية.

١٣- تفسير القرآن العظيم، للإمام/ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، تحقيق/ محمد حسـين شـمس الـدين، الناشر دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٤١٩هـ.

١٤- التفكير الفلسفي في الإسلام، د/عبدالحليم محمود ط دار الكتاب اللبناني ١٩٨٩م.

١٥- التعريفات للإمام/علي بن محمد بـن علـي الـزين الشـريف الجرجاني، تحقيق/جماعة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية الناشـر دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

١٦- الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمـل الإسـلامي المعاصـر، د/صلاح الصاوي ط مطابع أضواء المنتدى الإسلامي بدون تاريخ.

١٧- الجامع الصحيح من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المعروف بصحيح البخاري، للإمام/محمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق/محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر دار طوق النجاة ط أولى ١٤٢٢هـ.

١٨- الجامع الصحيح بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المعروف بصحيح مسلم، للإمام/مسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقي الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت.

١٩- الجامع لأحكام القرآن، للإمام/شمس الدين القرطبي، تحقيق/أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الناشر دار الكتب المصرية بالقاهرة ط ثانية ١٤٦٤م.

٢٠- الجانب العاطفي في الإسلام، للشيخ/محمد الغزالي ط نهضة مصر ط أولى ٢٠٠٥م.

٢١- حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، للشيخ/محمد الغزالي ط دار الكتب الحديثة ط ثانية ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.

٢٢-الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، للإمام/عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق د/محمد بن لطفي الصباغ، الناشر عمادة شئون المكتبات جامعة الملك سعود بالرياض بدون تاريخ.

٢٣- الدستور القرآني في شئون الحياة، للأستاذ/محمد عزة دروزة، تصحيح ومراجعة/ محمد فؤاد عبدالباقي ط إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه بدون تاريخ.

٢٤- زاد المعاد في سيرة خير العباد، للإمام/ أبي عبدالله محمد بن بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق/يحيى مراد ط مكتبة مصر بالقاهرة ٢٠٠٥م.

٢٥- السير والمغازي المعروف بسيرة ابن إسحاق، للإمام/محمد بن إسحاق بن يسار المدني، تحقيق/سهيل زكار الناشر دار الفكر بيروت ط أولى ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

٢٦- السيرة النبوية المعروفة بسيرة ابن هشام، للإمام/عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبي محمد جمال الدين، تحقيق/طه عبدالرءوف سعد، الناشر شركة الطباعة الفنية المتحدة.

٢٧- السبق التربوي مفهومه ومنهجه ومعالمه في ضوء المنهج الإسلامي، للمؤلف/خالد محمد الحازمي الناشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة السادسة والثلاثون ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

٢٨- السلوك الإنساني بين الجبرية والإرادة ومنظور علم النفس المعاصر"المشيئة والاختيار" د/ عبدالمجيد سيد أحمد منصور ، د/زكريا أحمد الشربيني ط دار الفكر العربي ط أولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٢٩- سنن أبي داوود، للإمام/أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني، تحقيق/محمد محيي الدين عبدالحميد، الناشر المكتبة العصرية صيدا بيروت.

٣٠- شرارة الإبداع، د/علي الحمادي ط دار ابن حزم ط أولى ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

٣١- شرح العقيدة الطحاوية، تخريج الأحاديث/محمد ناصر الدين

الألباني، ط المكتب الإسلامي ط ثامنة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٣٢- شعب الإيمان، للإمام/أحمد بن الحسين بن علي أبي بكر البيهقي، تحقيق/د.عبدالعلي عبدالحميد حامد، الناشر مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ط أولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

٣٣- العقل والدين د/ هاني المرعشلي ط المكتب العلمي للنشر والتوزيع بالإسكندرية ٢٠٠١م.

٣٤- الغزو الفكري في التصور الإسلامي، د/أحمد عبدالرحيم السايح، هدية مجلة الأزهر عدد جمادى الأولى ١٤١٤هـ.

٣٥- الفوائد، للإمام/شمس الدين بن القيم، تحقيق/أحمد محمود عطا مكتبة الإيمان بالمنصورة ط أولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

٣٦- فتح القدير، للإمام/محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني، الناشر دار ابن كثير ودار الكلم الطيب- دمشق، بيروت ط أولى ١٤١٤هـ.

٣٧- فن المقالة، د/محمد يوسف نجم، الناشر دار صادر بيروت دار الشروق عمان ط أولى ١٩٩٦م.

٣٨- قذائف الحق، للشيخ/محمد الغزالي الناشر دار القلم دمشق ط أولى ١٤١١هـ ١٩٩١م.

٣٩- القرآن محاولة لفهم عصري، د/مصطفى محمود ط دار المعارف ط رابعة بدون تاريخ.

٤٠- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية/ أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي أبو البقاء الحنفي، تحقيق/عدنان درويش، محمد المصري الناشر مؤسسة الرسالة بيروت.

٤١- لباب النقول في أسباب النزول، للإمام/عبدالرحمن بن أبي بكر بن جلال السيوطي، ضبط وتصحيح/أحمد عبدالشافي، الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٤٢- لسان العرب، للإمام/جمال الدين بن منظور الأنصاري، الناشر دار صادر بيروت ط ثالثة ١٤١٤هـ.

٤٣- معجم مقاييس اللغة/أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين، تحقيق/عبدالسلام محمد هارون الناشر دار الفكر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٤٤- مختار الصحاح/زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي الرازي، تحقيق/يوسف الشيخ محمد، الناشر المكتبة العصرية والدار النموذجية بيروت صيدا ط خامسة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٤٥- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، للإمام/أبي الفضل زين الدين عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي الناشر دار ابن حزم بيروت لبنان ط أولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

٤٦- المعجم الأوسط، للإمام/سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبي القاسم الطبراني، تحقيق/طارق بن عوض الله بن محمد وآخرين، الناشر دار الحرمين بالقاهرة.

٤٧- مفاتيح العلوم/ محمد بن أحمد بن يوسف أبو عبـــدالله الكاتـــب البلخي الخوارزمي، تحقيق/عبدالسلام محمد هارون الناشـــر دار الفكـــر ١٣٩٩هـــ ١٩٧٩م.

٤٨- الموضوعية في العلوم الإنسانية، د/صلاح قنصوة الناشر دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٧م.

٤٩- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/ محمد فؤاد عبدالباقي ط دار الحديث ط ثالثة ١٤١١هـــ ١٩٩١م.

٥٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للإمام/أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق/حسام الدين المقدســـي، الناشـــر مكتبة المقدسي بالقاهرة ١٤١٤هـــ ١٩٩٤م.

٥١- مدخل إلى الفلسفة، تأليف/جون لويس، ترجمة/ أنور عبدالملك ط دار الحقيقة للطباعة والنشر ببيروت ط ثانية ١٩٧٣م.

٥٢- المسند، للإمام/أحمد بن حنبل، تحقيـــق/ شـــعيب الأرنـــاؤوط وآخرين، الناشر مؤسسة الرسالة ط أولى ١٤٢١هـــ ٢٠٠١م.

٥٣- من أجل الدين والأمة، د/عبدالكريم بكار ط دار السلام للطباعة والنشر والترجمة ط أولى ١٤١٣هـــ ٢٠١٠م.

٥٤- مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، د/حلمي عبدالمنعم صابر، الناشر مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع ط ثانية ١٤٢٥هـــ ٢٠١٤م.

٥٥- مناهج البحث العلمي، د/عبداللطيف محمد العبد، الناشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ط ١٣٣٩هـــ ١٩٧٩م.

٥٦- المعجم الوسيط/ مجمع اللغة العربية بالقاهرة/إبراهيم مصطفى وآخرون، الناشر دار الدعوة.

٥٧- النبي المربي، للأستاذ/أحمد رجب الأسمر ط دار الفرقان بعمان ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٥٨- النظرية الاجتماعية في الفكر الإسلامي أصولها وبناؤها من القرآن والسنة، د/زينب رضوان من سلسلة علم الاجتماع المعاصر الكتاب الخمسون ط دار المعارف ط أولى ١٩٨٢م.

٥٩- وقت الفراغ وأثره في انحراف الشباب، للأستاذ/عبدالله بن ناصر السدحان، الناشر مكتبة العبيكان ط أولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

٦٠- نظرات في القرآن، للشيخ/محمد الغزالي، الناشر ط دار الكتب الحديثة مطبعة السعادة ط ثانية ١٣٨٠هـ ١٩٦١م.